

مكتب الاستاذ
سعيد محمد

مكتب الاستاذ

العاصفة العنيفة

114



Looloo

www.dvd4arab.com

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من
حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية
المصرية ، بدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرية
مطلقة ؛ من أجل حماية التقدم العلمى فى (مصر) ،
ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس
الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل
رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على
رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة
بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ،
ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ،
وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. تيسيل فاروق

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الرابعة والربع
عصراً ..

قطع الدكتور (ناظم) ، رئيس إدارة الأبحاث
التابعة لجهاز المخابرات العلمية المصرية ، ذلك
الممر الطويل ، فى الطابق الثالث تحت الأرض ، من
مبنى الجهاز ، فى خطوات واسعة سريعة ، حتى بلغ
منطقة خاصة ، يشير الشعار عند مدخلها ، مع
الشريط الأحمر الرفيع ، إلى أنها منطقة محظورة ، إلا
لعدد محدود من العاملين ، الذين تحمل بطاقات
هويتهم نفس الشعار ، مع الشريط الرفيع ، فتوقف
عند المدخل ، ودرس بطاقة فى تجويف رفيع ، ولم
يكد يفعل ، حتى بدأ الجزء المتبقى من الممر فى
التحرك فى بضع ، فى اتجاه حجرة القائد الأعلى فى
نهايته ، فانتزع الدكتور (ناظم) بطاقته ، ودمسها فى
جيبه ، وهو يخطو إلى ذلك الجزء ، الذى حمله نحو
الحجرة ، فى نفس الوقت الذى اتبعته فيه عدة خيوط

رفيعة من أشعة الليزر ، من ثقب صغير في السقف
والجدران ، راحت تمسح وجه الدكتور (ناظم)
وجسده ، في سرعة ودقة بالفتن ، قبل أن ينبعث من
مكان ما صوت آلى ، يقول :

- تم تعرف الدكتور (ناظم) .. الدخول متاح ..
شكراً لاستجابتكم لنظام الأمن الجديد .

انفتح باب حجرة القائد الأعلى ، في تلك اللحظة ،
في حين توقف ذلك الجزء من الممر عن الحركة ،
فدلف الدكتور (ناظم) إلى الحجرة ، قائلاً في
حماس :

- لقد حصلت على معلومات بالغة الأهمية ، بخصوص
(طارق) .

بدا الاهتمام البالغ على وجه القائد الأعلى ، وهو
يستقبله ، قائلاً :

- هات ما لديك يا رجل .

جلس الدكتور (ناظم) على المقعد المقابل لمكتب
القائد الأعلى ، وهو يخرج ورقة مطبوعة من جيبه ،
ويقول :

- ذلك الشاب كان يعمل كخبير طاقة ، في جهاز

الأمن الخاص برياسة الجمهورية ، بعد الاحتلال
مباشرة (*) .

ارتفع حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

- رياه ! إنها معلومة بالغة الأهمية بحق .

ثم عاد حاجباه يلتقيان في توتر ، مع استطراده :

- ولكن كيف لم يتم كشف هذا الأمر ، عندما التحق

الشاب بالعمل لدينا ؟! المفترض أن تكون لدينا كل
المعلومات الخاصة به ، قبل أن يشترك في مشروعات
بالغة الخطورة والسرية كهذه .

وترداد انعقاد حاجبيه في غضب ، وهو يضيف :

- هذا تقصير رهيب يا دكتور (ناظم) ، ولابد من

عقاب المسؤولين عنه بمنتهى القسوة والصرامة .

ثم مال إلى الأمام ، متابعاً في حدة :

- ماذا لو أن جاسوساً سعى للتسلل إلى صفوفنا ؟

بل وماذا لو أن (طارق) هذا نفسه جاسوس خطير ،

يعمل لحساب جهة أجنبية ؟! هل كنا سنفضّل في

الحصول على معلومة بالغة الأهمية كهذه عنه ، حتى

يحصل على ما ينبغي ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بيده ، قائلاً :

- رويدك أيها القائد .. لم يكن هناك تقصير أو إهمال في هذا الشأن .. لقد تحرر الرجال عن (طارق) بمنتهى الدقة ، عند ترشيحه للعمل معنا ، ولكن لم يكن بإمكانهم التوصل إلى هذه المعلومة حينذاك ، فلم تكن متاحة على شبكة المعلومات العامة أو السرية .

قال القائد الأعلى في غضب :

- ولكنك نجحت في الحصول عليها الآن .

تتهّد الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- الأمر الآن يختلف كثيراً .

ثم نهض من مقعده ، وتابع في اهتمام ، وهو يتحرك في الحجرة :

- تلك المعلومة كانت تتدرج تحت بند السرية البالغة ، داخل الشبكة المحدودة لجهاز أمن الرئيس السابق ، نظراً لاستقلالية جهاز أمن الرئاسة ، وتبعيته المباشرة لرئيس الجمهورية ، وطبقاً للقانون الخاص بحماية المعلومات ، والذي صدر بعد جلاء غزاة الفضاء ، ونجاحنا في استعادة كل معلوماتنا

وتاريخنا(*) ، ولهذا لم يكن من الممكن أن يتوصل إليها الرجال ، مهما بذلوا من جهد ، أما الآن ، ولأننا نعيد البحث ، في إطار من الشك ، فقد حصلت على موافقة محدودة ، لربط شبكة معلوماتنا بالشبكة المعلوماتية الرئاسية ، عسى أن أجد لديهم ما يفوق ما لدينا .

وفرق سبأته وإيهامه ، مضيفاً :

- وهذا ما حدث بالفعل .

أوما القائد الأعلى برأسه متفهّماً ، وهو يتراجع في مقعده ، وعقله ينطلق مسترجعاً ذكريات قريبة للغاية .
ذكريات بضع ساعات مضت ..

منذ تلك اللحظة ، التي استقبل فيها الدكتور (ناظم) في مكتبه ، الدكتور (فؤاد راغب) ، عالم أبحاث الخلية المعروف ، الذي جاء لي طرح بحثاً مدهشاً ، حول عقار جديد ، يجعل الخلايا البشرية قابلة للشحن بالطاقة النووية ، وقادرة على تخزينها ، وتحويلها إلى صور أخرى من الطاقة ..

(*) راجع قصة (كنز الفضاء) .. المغامرة رقم (٨١) -

وبعد أن طرح الرجل نظريته ، وأخرج عينة العقار
من حقيبتيه ؛ ليقدّمها للدكتور (ناظم) ، فوجئ بأن
أحدهم قد استولى على عقاره ، واستبدل به بعض
الماء الملون ، فهاجمته أزمة قلبية حادة ، وهوى
جثة هامدة ..

وبعدها مباشرة ، بدأت الأحداث العنيفة ..

مساعدة الدكتور (فؤاد) الذى يحمل اسم (غبريال) ،
احتال لدخول حجرة الطاقة ، التابعة لقسم العلاج
النووى بالمستشفى المركزى ، وشحن جسده بالطاقة ،
وقضى على مهندس الوحدة ، وكل الطاقم الفنى ..
وعلى الرغم من أن (نور) و (أكرم) كانا فى
المكان بالفعل ، إلا أنهما عجزا عن التصدى لذلك
الخصم الخارق ، الذى نسف جدران المكان ، قبل أن
يختفى تماما ، وكأنهما اتشقت الأرض وابتلعته بفتة ..
ثم بدأت الاغتيالات الوحشية المخيفة ..

العدو النووى الخارق اغتال النائب العام السابق ،
وزعيم الخارجية الأسبق ، ومدير المخابرات العامة
الحالى ..

فعل كل هذا بقوته الرهيبة ، مطيحا بكل ما ، ومن
يعترض طريقه ، وراح يمزق ضحاياه بلا رحمة أو
هوادة ..

وبكل همة ونشاط ، راح (نور) وفريقه يسعون
لكشف حقيقة خصمهم الخارق ، والبحث عن هويته
الحقيقية ، بعد أن كشفوا أنه ليس (غبريال) الحقيقى ،
وأنه يرتكب كل ما يرتكبه ، فقط للنار من ضحاياه ،
بسبب أمر لم يمكنهم التوصل إليه بعد ..

واستكمالاً للفريق ، ضم إليه (نور) خبيراً جديداً
فى الطاقة وعلوم الأشعة ، وهو المهندس (طارق) ،
الذى بهر الجميع بمهاراته المختلفة ، وقدراته
المدهشة ، وبراعته فى الحركة والقتال ، وعبقريته
فى التخطيط والمناورة ، إلى الحد الذى أثار حسد
(أكرم) وتوتره ، ودفعه إلى الاشتباك معه عدة
مرات ، قبل أن يعترف بتفوقه ، ويقرر نقله من خاتمة
الصراع إلى قاعة الأصدقاء ..

ووسط كل هذا ، وفى أثناء مواجهة مباشرة سريعة
مع الخصم النووى ، تعرّض (نور) و (أكرم)
و (طارق) إلى حادث سيارة عنيف ، نجا منه الأخيران

فى صعوبة ، فى حين أصيب (نور) إصابة شديدة ،
وفقد وعيه تماماً ..

وكان من الضرورى أن يتم تعيين قائد جديد للفريق ،
حتى يواصل الصراع ؛ لإيقاف ذلك الخصم النووى ،
ومنعه من مواصلة رحلة التأثير الرهيبة ..

ووقع اختيار القائد الأعلى على (طارق) ..

ولكن الدكتور (ناظم) لم يعلن ارتياحه لهذا الأمر .
بل وأعلن أن أعماقه تكتظ بعشرات الشكوك ،
ونقاط الغموض ، حول هذا الشاب بالذات ..

لذا ، فقد تراجع القائد الأعلى عن قراره ، وانتخب
(رمزى) لقيادة الفريق ، فى نفس الوقت الذى طلب
فيه من الدكتور (ناظم) جمع كل التحريات الممكنة
عن (طارق) ، و ...

« كيف انتهت خدمته فى أمن الرئاسة ؟! »

قفز السؤال إلى ذهن القائد الأعلى بغتة ، قاطعاً
تسلسل أفكاره ، فنقله بسرعة إلى لسانه ، وهو يتطلع
فى اهتمام إلى الدكتور (ناظم) ، الذى صمت لحظات ،
قبل أن يجيب فى حزم :

- لقد تم فصله من العمل .

ارتفع حاجبا القائد الأعلى فى دهشة ، وهو يهتف :

- فصلة ؟!

أوما الدكتور (ناظم) برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم يا سيدى .. تم فصله ؛ لمخالفته قوانين السرية
المطلقة ، وتجاوزه الحدود المسموح بها فى هذا
الشان .

تواصلت دهشة القائد الأعلى لبضع لحظات ، ثم لم
يلبث حاجباه أن انخفضا ، ثم واصل طرفاهما
التخفاضهما ، حتى التقيا على نحو يشف عن التوتر
الزائد ، وهو يمتد شفثيه ، قالأ :

- يبدو أن الأمر أخطر مما ينبغى يا دكتور (ناظم) .

ثم زفر فى حدة ، قبل أن يتابع :

- وأتينا لن نستعيد شعورنا بالارتياح قط ، إلا بعد

عودة (نور) لقيادة الفريق .

وافقه الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، مغمضاً :

- بالتأكيد .

لم يكن كلاهما يدرك ، فى تلك اللحظة ، أن (نور)
ما زال يرقد فاقد الوعى ، فى قسم رعاية الحالات
الحرجة ، فى المستشفى المركزى ، وإلى جواره

تجلس زوجته (سلوى) ، فى انتظار عودته إلى
وعيه ..

وأن المستشفى يتعرض للهجوم ..

هجوم رهيب ، من ذلك الخصم النووى ..

والأخطر أن ذلك الهجوم يستهدف المقدم (نور
الدين محمود) ..
شخصياً (*) ..

* * *

تفجرت موجة هائلة من الرعب والفرع ، فى
المستشفى المركزى ، مع دوى الانفجارات المتتابع ،
والنيران التى راحت تشتعل فى أماكن شتى ، بالطابق
الأرضى ، وراح الجميع يتدافعون فى الممرات
والطرق ، فى محاولة للفرار من خطر داهم ، تمثل
فى ذلك العدو النووى ، الذى أخذ يشق طريقه بالنار
والدم ، نحو الطابق الثانى من المستشفى ، حيث قسم
رعاية الحالات الحرجة ، الذى يرقد فيه (نور) فاقد
الوعى ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (العدو الخارق) ..
المغامرة رقم (١١٥) .

وكرد فعل تلقائى ، بدأت أجهزة مقاومة الحريق فى
العمل ، واتطلقت رشاشات المياه فى الأسقف ، لتفمر
كل شيء ، فى حين أجرى الكمبيوتر اتصالاً فورياً
برجال الإطفاء ، وأقرب نقطة شرطة ..

وفى الطابق الثانى ، تعلقت عينا (سلوى) بشاشة
مراقبة ، تنقل ما يحدث فى الطابق الأرضى من عنف
ودمار ، وارتجف جسدها فى عنف ، وسرت فيه
قشعريرة باردة كالثلج ، وهى تتمتم :

- يا إلهى ! (نور) !!

شيء ما فى أعماقها أنبأها بأن كل هذا يستهدف
زوجها (نور) ..

(نور) وحده ..

ونفس الشيء أخبرها ، أن ذلك النووى يتعمد
إعلان وجوده هذه المرة ..

وعلى نحو سافر ..

إته لم يحاول حتى إحاطة نفسه بذلك الضوء
الساطع ، الذى يبهر خصومه ، ويمنعهم من تحديد
هويته ..

ولكنه يتحرك هذه المرة كالعاصفة ..

ويطرح بكل ما يعترض طريقه ..

رجال الأمن ..

مرضى المستشفى ..

وحتى المرضى ..

والجدران ..

وارتجف قلبها بين ضلوعها فى عنف ، ورددت
مرة أخرى ، وهى تتلفت حولها فى ارتياح :

- رباه ! (نور) !! (نور) فى خطر !!

لم تكن تدري ما الذى ينبغى عليها فعله ؛ لإقناع
زوجها ، من مثل هذا الموقف ، لذا فقد راحت تتحرك
فى ذعر ، فى كل الاتجاهات ، وهى تفرك كفيها ،
قائلة لنفسها :

- لا يا (سلوى) .. لا .. لا تفقدى أعصابك ، فى
هذا الموقف .. حياة زوجك تعتمد على تماسكك
وحسن تصرفك .. هيا .. ابحثى عن مخرج .. ابحثى
عن سبيل للفرار ، قبل أن يبلغك ذلك الوحش النووى
الآدمى ..

كان عقلها حائرًا مضطربًا بشدة ، إلا أنه أدرك
حقيقة واحدة ..

هى أن أول ما ينبغى فعله ، هو إبعاد (نور) عن
قسم رعاية الحالات الحرجة ..

وفى التوتر بالغ ، اندفعت نحو فراش (نور) ،
وجرت عيناها على الأسلاك والأنابيب الرفيعة ، التى
تمتد من وإلى جسده ، وقالت فى هلع :

- يا إلهى ! ترى أى تلك الأشياء يمكن رفعها ،
دون تعريض حياته للخطر ؟!

لم يكن هناك شخص يمكن استشارته ، فى مثل
هذه الظروف ، لذا فقد راحت تنتزع عنه كل ما يعوق
حركة الفراش ، وهى تقول فى اضطراب :

- سامحنى يا (نور) .. هذا كل ما يمكننى فعله .

كان زوجها يرقد صامتًا مستسلمًا ، غائبًا عن
الوعى ، عندما أزال كايح إبطات الفراش ، ودفعته
أمامها إلى خارج الحجرة ، وهى تلهث من فرط التوتر
والانفعال ، وأخذت تعدو به عبر ممرات القسم الخالية ،
ودوى الانفجارات يبلغها من الطابق الأول ، معلنا أنه
لم يعد يفصلها عن النووى سوى خطوات قليلة ..

وبكل ذعرها وارتياحها ، هتفت :

- رباه ! ماذا أفعل ؟! ماذا أفعل ؟!

واصلت عدوها عبر الممرات ، وهى تدفع (نور)
وفراشه أمامها ، و ...

وانتهت فجأة إلى أن الانفجارات قد توقفت تماما .
بل ، لقد تلاشت كل الأصوات ، فيما عدا وقع أقدام
تصعد فى درجات السلم ، إلى الطابق الثانى ، فى بضع
وثنى قوى ..

وكان هذا يعنى أمرا واحدا ..
لقد أزال النووى كل العقبات من طريقه ..
وها هو ذا يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ولم يعد لديها ما تفعله ..

أو تفرّإ إليه ..

واقترَب وقع قدمى النووى ..

واقترَب ..

واقترَب ..

وفى ارتياح ، راحت تتلُف حولها ، هاتفه :

- رباه ! ماذا أفعل ؟! ماذا أفعل ؟!

وفجأة ، ومع آخر حروف كلماتها ، لمحت تلك
الحجرة ، فى نهاية الممر ..

كانت الحجرة الوحيدة المفتوحة ، فى الممر كله ،
ووقع قدمى النووى يوحى بأنه سيبلغ الطابق ، بعد
ثوان معدودة ، و ...

واتدفعت (سلوى) بالفراش الصغير ، نحو تلك
الحجرة المفتوحة ، ودفعت الفراش داخلها ، وقفزت
خلفه ، لتغلق الباب فى إحكام ، فى نفس اللحظة التى
بلغ فيها النووى الطابق ..

وبينما كانت تلهث فى عنف ، داخل الحجرة المغلقة ،
التي لم تكن سوى مخزن عقاقير الطوارئ ، لقسم
علاج الحالات الحرجة ، كان النووى يدير عينيه فى
المكان فى بضع ، ثم يتجه نحو الحجرة ، التى كان
(نور) يرقد فيها منذ قليل ..

وبكرة نارية محدودة ، نصف باب الحجرة ، قبل أن
يقتحمها فى عنف ، وعيناه تضيئان كمصباحين
ساطعين ..

ثم انعقد حاجباه فى غضب ، عندما وقع بصره
على الحجرة الخالية ..

ويكل غضبه صرخ :

- اللعنة !

ومع صرخته ، انطلقت من قبضته كرة من النار ،
نسفت الجدار المقابل ، وأطاحت به في قوة ..
واندفع خارج الحجرة ، وهو يطلق صرخة غاضبة
أخرى ، مقتحمًا الحجرة المجاورة ، التي كانت خالية
بدورها ، مما ضاعف من غضبه ، ودفعه للنسف
جدارها أيضًا ..

ومن مكنها ، داخل حجرة عقاقير الطوارئ ،
سمعت (سلوى) الانفجارات تتوالى ، من حجرة إلى
أخرى ، مع صرخات النوى الغاضبة الثائرة ..
وعلى الرغم من أبواق سيارات الشرطة ، التي
بلغت مسامعها ، مختلطة بدوى الانفجارات ، إلا أنها
انكمشت في مكانها هلعًا مذعورة ، مدركة أن
خصمها الخارق سيبلغها حتمًا ..

وأنه لن يتورّع عن نسف المستشفى بأكمله ، دون
أن يطرف له جفن ؛ ليلوغ مآربه ..

وفي غمرة مشاعرهما وانفعالاتهما ، وعلى الرغم من
معرفتهما أن الفريق يجتمع الآن في مكان بعيد للغاية



واندفعت (سلوى) بالفراش الصغير ، نحو تلك الحجرة
المفتوحة ، ودفعت الفراش داخلها ، وقفزت خلفه

عنهما ، والله من المستحيل أن يتمكن رفاقها من الوصول إليها ، قبل أن يبلغها النووى . إلا أن سبابتها وثبت تضغط ذلك الزر الصغير ، فى الإطار الجانبي لساعتها ، مطلقا إشارة الاستغاثة ..
وكانت هذه الضغطة هى محاولة النجاة الأخيرة ، على الرغم من كل ما فيها من أمان ..
واستحالة ..

* * *

« هذا الأمر معقد للغاية .. »

لكى الدكتور (حجازى) العبارة فى حيرة واضحة ، وهو يراجع مع (طارق) أوراق الدكتور (فؤاد) ، على شاشة الكمبيوتر . وعاد يتطلع مرة أخرى إلى تلك التركيبات المعقدة ، قبل أن يتابع فى اهتمام :
- المفترض ، طبقاً لتلك الأبحاث ، أن يحدث تصور نام فى الخلايا ، بحيث تصبح لأغلفتها الخارجية القدرة على الاحتفاظ بالطاقة داخلها ، فى نفس الوقت الذى يمكنها فيه إحداث تغيرات فى تلك الطاقة .
وتحويلها إلى أية صورة أخرى .
أجابته (طارق) :

- وهذا ما رأيناه بأنفسنا ، فذلك النووى يطلق الضوء من عينيه ، وكرات النار والصواعق من قبضتيه ، ويمتد إحاطة نفسه بخلاف متغير الذبذبة ، من الطاقة الكهرومغناطيسية ، بحيث يخفى جسده ، أو يضيئه بضوء ساطع مبهر .
وتتهد فى عمق قلب أن يضيف :
- والله (سبحانه وتعالى) أعلم بما يمكن أن يفعله أكثر من هذا .

هز الدكتور (حجازى) رأسه فى بطل ، وهو يقول :
- هذا صحيح يا ولدى ، ولكننى سأزل أصر على أن الطبيعة تفرض نفسها وفوائدها فى النهاية . أن تلك الخلايا ، مهما حدث فيها من تحورات ، ستظل تحتفظ بنفس طبيعتها البشرية ، التى خلقها عليها الله (عز وجل) . وأن ذلك الجهد الخارق ، الذى نبذله طوال الوقت ، منذ امتلأت بالطاقة النووية ، لا بد أن يؤدى فى النهاية إلى انهيارها .
أشار (أكرم) بسبابته ، قائلاً :
- السؤال هو متى يا دكتور (حجازى) ؟ متى تنهار خلايا ذلك الوغد ؟

عبد الدكتور (حجازي) يهز رأسه ، وقال :

- هذا ما نبذل قصارى جهدنا للتوصل إليه يا ولدي .

مط (أكرم) شفقيه ، وقال في حقن :

- انعمتم أن تتوصلوا إلى هذا ، قبل أن ينتهي من

حملته الثأرية الوحشية هذه .

وابتسم في سخرية عصبية ، مستطرداً :

- أو قبل أن يظفر بنا .

أطلقت (نشوى) زفرة متوترة ، وأشارت إلى

جهاز الكمبيوتر ، قائلة :

- الواقع أن أمر ذلك النوى شديد الصعوبة والتمعبد

بالفعل يا (أكرم) ..

إلى أبذل قصارى جهدي ، وأراجع ملفات كل

القضايا ، التي جمعت ما بين الضحايا الثلاث ، وأجمع

المعلومات عن كل شخص مرتبط بها ، وعن أقارب

المتهمين والمدافين فيها ، حتى الدرجة الرابعة ،

وعني فرغم من هذا ، فلم يمكنني التوصل إلى هويته

الحقيقية قط .

تراجع (طارق) ، والتقى حاجباه في تفكير عسيف .

قبل أن يلتفت إليها ، قائلاً :

- إنني أفكر في هذا منذ فترة ، واعتقد أنه يمكننا

التوصل إلى هوية ذلك الشاب ، لو على الأقل إلى

القضية التي أطلق كل غضبه وقوته من أجلها ،

بوسيلة أخرى .

سأله (رمزي) في اهتمام :

- أية وسيلة هذه ؟

لم يجب (طارق) سؤاله مباشرة ، وإنما احتفظ

وجهه بدلالات التفكير العسيف ليضع لحظات ، قبل أن

يشير بسبائته ، ويسأل (نشوى) في اهتمام :

- أخبريني .. هل يمكنك التعامل مع برامج التماثل

ثلاثية الأبعاد ؟

أجابته بسرعة :

- بالطبع .. لقد درست هذا الأمر جيداً ، ولدي

برنامج رائع في هذا المضمار .

اعتدل بجسده كله ليواجهها ، قائلاً :

- عظيم .. يمكننا إذن أن نقوم بتجربة دقيقة ،

و ...

قبل أن يتم عبارته ، انطلق فجأة أزيز جهاز

استدعاء الطوارئ ، وانقسم على شاشته اسم

(أسلوى) . قبل أن يتم تحديد موقعها على خريطة
للسبينة ، فى سرعة مذهلة . فهتفت (نشوى) فى
ارتياح :

- رباه ! إنها أمى .. يا إلهى ! أرجسو ألا يكون
مكررة قد أصاب أبى .

قفز (أكرم) إلى جهاز المتابعة الأمنية العاجلة ،
هاتفًا :

- سنعرف على الفور .

ظفازر الجهاز فى لهفة متوترة ، وتعلقت عيون
الجميع بشاشته فى توتر بالغ ، حتى ظهرت على
شاشته عبارة ممدودة ، حولها الجهاز إلى صوت
ألى ، يقول :

- هجوم عنيف على المستشفى المركزى .. نفس
العدو الخارق .

شهقت (نشوى) فى ارتياح :

- رباه ! أبى !! أمى !!

استل (أكرم) مسدسه . وهو يتدفع نحو الباب .
هاتفًا :

- هيا بنا .

لم تقو ساقا (نشوى) على حملها ، وقتلها بخلق
فى قوة . وهم (رمزى) بالتهوض من مقعده ، ولكن
(أكرم) صاح به فى صراة عصبية :

- هليوكوبتر الطوارى النفاثة لن تحمل سوى
رجلين .

ثم نوح بمسدسه ، مستطردًا فى لهجة أمرة :

- هيا يا (طارق) .

ثم يكن (طارق) فى انتظار النداء ، فقد التقط
حقيقته فى لهفة . فور سماعه عبارة الجهاز ، وتدفع
نحو الباب ، وعبره بالفعل قبل أن يبلغه (أكرم) .
الذى انعقد حاجباه فى توتر ، إلا أنه لم يعلق على
الموقف . حتى بلغا الهليوكوبتر . فوثب (طارق)
إلى مقعد قيادتها ، قائلاً :

- أسرع يا (أكرم) .. لا بد أن ننتطلق بأقصى

سرعة ، وإلا وصلنا بعد فوات الأوان .

قفز (أكرم) إلى الهليوكوبتر ، هاتفًا :

- هل يمكنك قيادتها ؟!

ربط (طارق) حزام مقعده ، مجيبًا فى حزم :

- إلى حد ما .

لم يكن (أكرم) قد أحكم ربط حزام مقوده ، عندما
ارتفع (طارق) بالهليكوبتر بقعة ، على نحو يشق
عن إجابة تامة للطيران . ومهارة مدققة في التحليق ،
جعلت الهليكوبتر تنطلق بسرعة كبيرة ، دون أن
تفقد توازنها لحظة واحدة ..

وفي اتبهار ، هتف (أكرم) :

- يا إلهي ! بك تفود بمهارة مبهرة بالفعل .

غمغم (طارق) في تحفظ :

- لقد تلقيت بعض دروس الطيران .

التفت حاجبا (أكرم) ، وهو يغفم في دهشة

مستكرة :

- بعض ؟!

لم يعلق (طارق) على العبارة ، ولأنه بالصمت

اتمام ، وهو ينطلق بالهليكوبتر بأقصى سرعة ممكنة ،

نحو المستشفى المركزي ..

وفي نفس اللحظة ، كانت (نشوى) تتحرك داخل

المقر الصحراوي في عصبية شديدة ، هائفة :

- لا .. لا يمكنني الجلوس هنا ساكنة ، وأبى وأبى

بواجهان خطر الموت هناك .. لا بد أن أذهب

إليهما .. لا بد .

أجابها الدكتور (حجازي) في توتر شديد :

- إن يمكنك الوصول في الوقت المناسب أبداً

يا ابنتي .. لقد رحل (أكرم) و (طارق) بالهليكوبتر .

ولم يعد لدينا سوى السيارة الصحراوية . وسرعتها

تحتاجنا لنحتاج إلى نصف الساعة على الأقل ، قبل أن

نبلغ المستشفى .

تنهَّد (رمزي) ، مكملًا :

- والكثير يمكن حدوثه في نصف الساعة هذه ..

وخفض عينيه في مرارة ، مستطردًا :

- الكثير جدًا .

استدارت إليه في عنف ، هائفة :

- كان ينبغي أن تذهب معهما ، كان لا بد أن تفعل .

شعر الدكتور (حجازي) بالقلق ، وهو ينقل بصره

بينهما ، في حين أجابها (رمزي) بسرعة :

- الهليكوبتر النفاثة صغيرة الحجم . ولا تصح

لحمل أكثر من رجلين .

صاحت به :

- ولماذا لم تكن أول الرجلين ؟! إنك قائد الفريق

الآن ، وينبغي أن ..

قاطعها في حزم ، قبل أن تكمل عبارتها :
- أن اتخذ القرار الصحيح المناسب ، طبقاً للموقف ،
ومقتضيات المواجهة .

والرد عليه في صعوبة ، قبل أن يكمل في مرارة :
- وهذا ما فعلته .

نددت في وجهه بتوتر بالغ ، فرفع عينيه إليها ،
مضيقاً :

.. لقد أرسلت أفضل رجلين لدينا بالفعل .. الدكتور
(حجازي) أن يمكنه التصدي لموقف كهذا ، وأنا لم
أستد ليأقضي بعد .. كان هذا أفضل قرار يمكن اتخاذه ،
في ظرف شديد الحساسية كهذا .

ارتجفت شفتاها بضع لحظات ، وهي تواصل
التصديق في وجهه ، ثم لم تثبت أن ألقت نفسها بين
ذراعيه فجأة ، وتركت دموعها تتفجر عنبوع ساخن
من عينيها ، وهي تدفنها في صدره ، قائلة :

- سامحني يا (رمزي) .. سامحني .. الموقف
يفوق قدرتي على الاحتمال .. لا يمكنني أن أتخيل
نفس في موقف سنبي كهذا ، وأبي وأمي يواجهان
خطر الموت ، على مسافة عدة كيلومترات مني .

احتواها بين ذراعيه في حنان ، وضمها إليه في
رفق ، هامساً :

- سيكون كل شيء على ما يرام بإذن الله (العلي
القدير) يا زوجتي العزيزة .. سيكون كل شيء على
ما يرام ..

في نفس اللحظة التي تجاوزت فيها العبارة شفتيه ،
كانت (ملوى) ترتجف في مخبئها ، كما لو كانت
عصفوراً صغيراً أصابه الليل ، في ليلة قارصة
البرودة ، وأصوات الفجار الأبواب والجدران تقترب
عنها بسرعة مذهشة ، مع صرخات الغضب المخيفة ،
التي يطلقها ذلك النور ، بعد كل حجرة خالية ..

وكان من الواضح أنه سيبلغ مخزن عناقير
الطوارئ بعد لحظات معدودة ..

لحظات تأتي بعدها النهاية لا ريب ..
نهايتها ..

ونهاية (نور) ..

ولم يكن هناك مكان آخر ، يمكنها أن تذهب إليه ..
لقد وضعت نفسها في المصيدة ، ولم يعد هناك من
سبيل للفرار ..

٢ - مواجهة ..

الجمعة : الحادي عشر من مايو .. الرابعة
والنصف عصراً ..

لحظة واحدة ، التفت فيها عينا (سنوى) بعيني
القاتل ..

لحظة انتفض لها جسدها كله فى عطف ، وسرت
فيه موجة باردة كالثلج ، تجسدت لها أطرافها ،
ولارتجف لها كيانها كله ، كما لو أن صاعقة قوية
أصابتها ..

وفى تلك اللحظة ، قرأت (سنوى) فى عيني
النوى الكثير ..

ورأت ما تعجز آلاف الكلمات عن وصفه ..

رأت الغضب ..

التمقت ..

الشوة ..

الشراسة ..

الوحشية ..

أى سبيل !

وخلف قلبها بأعنف ما يمكنه ، عندما توقف وقع
الأقدام أمام باب المخزن ..

ثم هوى بين قدميهما ، عندما انطلقت الصرخة
الفاضية ..

وانطلقت معها كرة جديدة من كرات النار ..

كرة أصابت باب الحجرة ، وانقرعته من مكانه فى
عطف ، ودفعته حتى ارتطم بها ، ودفعها مع فراش

(نور) حتى نهاية الحجرة ، قبل أن يرتطم برففه
المطوى بالجدار . ويميل كله فوق فراش (نور) ..

ومن خلف الباب ، وبعينين أترعهما تعب ودعر
النيا كلها ، لمحت (سنوى) وجه ذلك الشاب ..

وجه النوى ..

وكان فى تلك اللحظة يرفع قبضته نحو الداخل ،
استعداداً لإطلاق كرة ثلوية جديدة ..

كرة ستصف الحجرة كلها ، بكل ما فيها ، ومن
فيها ..

وهذا يعنى أنها النهاية المحتومة ..

للجميع ..

بن رأيت الشيطان نفسه ، يطل من عينيين سكنتهما
الجنون ، واستقر في أعماقهما الشر مجسماً ..
وبعد تلك اللحظة ، تألفت عيانه ، وسطعاً ..
وانطلق منهما ذلك الضوء المخيف ..
الرهيب ..

وبلل ذعر الدنيا ، صرخت (سنوي) وهي
تتراجع ، محاولة حماية زوجها الغائب عن الوعي ،
حاجبة عينيها بكفيها ، من ذلك الضوء المبهر ، الذي
يغشى كيانها كله ، و ...
« أنت هناك .. »

انطلقت الصيحة بغثة ، من بداية التمر ، وانطلق
معها شعاعان من النيون ، شقاً طريقهما نحو
النووي ، وتلاشياً على قيد سنتيمترات من جسده ،
فوق ذلك الحاجز الكهربومغناطيسي الواقى ، الذي أحاط
نفسه به ..

وفي ثورة غاضبة ، استدبر النووي بواجه رجال
الشرطة ، الذين هرعوا إلى المكان ..
ويلا تردد ، أطلق الرجال نحوه عشرات من خيوط
الليزر القاتلة ..

ولم يكن مصير تلك الخيوط بأفضل من مصير
سابقتها ..
لقد تحطمت وتلاشت ، فوق الدرع الواقية مرة
أخرى ..

وفي توتر بالغ ، هتف أحد رجال الشرطة :
- استخدموا مدافعاً .. أطلقوا نحوه صاروخاً ، و ...
صرخ النووي في غضب ، قبل أن يسم الرجل
عيارته ، ورفع قبضته نحوه ..
وانطلق كرة نارية جديدة ..

وتراجع رجال الشرطة في ذعر ، أمام تلك الكرة
المخيفة ، التي شقت طريقها عبر الممر ، لترتطم
بجسد أحدهم ، وتقتله من مكانه ، دافعة إياه أمامها
لخمس أمتار كاملة ، قبل أن يصدم بالجدار ، ويسقط
أرضاً ..

ولكن العجيب أن تلك الكرة النارية لم تقتله ..
فقط أحرقت قميصه ، وسترته الواقية ، ومزقت
أربطتها كلها ..

واتخذ حاجب النووي في غضب هائل ..
وانطلقت منه صرخة أخرى ..

صرخة شقت عن ثورة عارمة هذه المرة ..
ومع صرخته ، هتف أحد رجال الشرطة ثانية :
- أطلقوا نحوه صاروخاً ..
واختزلت العبارة أذنيه في قموة ..
لقد أدرك أن طاقته قد انخفضت بسرعة هذه المرة .
بسرعة أكثر مما ينبغي ..
وهذا يعني أنه لو أطلق هذا الصاروخ نحوه ،
فسيكون مصيره الموت حتماً ..
إذا فقد أسرع ببدل ذهبية الغلاف الكهربومغناطيسي
المحيط به ، وأخذ جسده يتلاشى تدريجياً ، وهو يعدو
نحو رجال الشرطة ، مطلقاً صرخات غضب متصلة ،
يجعلهم يتراجعون في قزح ، وكبيرهم يصرخ :
- أطلقوا الصاروخ .. أطلقوا الصاروخ ..
وضغط حامل المدفع زر الإطلاق ..
واتطلق الصاروخ ..
ولكن النور كان قد اختفى تماماً ..
ولم يعد هناك هدف يمكن التصويب عليه ..
ودوى الانفجار في نهاية الممر ..
وأطاح بجدار حجرة عقاقير الطوارئ ..

نفس الحجرة التي تحتمي بها (سلوى) .. مع
زوجها (نور) ..
ومع الانفجار ، انطلقت في المكان كله ضججات
ساخرة عصبية ، راحت تبتعد ، وتبتعد ، حتى تلاشت
بدورها ..
وساد المكان صمت رهيب ..
صمت يوحي بأنه ، وباستثناء رجال الشرطة ،
الذين شملهم الرعب والذهول ، لم يكن هناك أثر لحياة
أخرى في ذلك الطابق ..
أدنى أثر ..

لم ينطق (طارق) بحرف واحد ، وهو ينطلق
بألهليوكوبتر نحو المستشفى ..
وكذلك لم يفعل (أكرم) ..
كثرت هناك مخاوف شتى ، تسيطر على كليهما ،
حتى إن كلا منهما اكتفى بالتفكير فيها ، ولم يجد
بنفسه أدنى رغبة في التحدث مع رفيقه ..
ثم قطع (طارق) ذلك الصمت ، وهو يشير بيده ،
قليلًا :

- ها هو ذا المستشفى .

وهنا غمغم (أكرم) بصوت مبجوح :

- اعظم أن نكون قد وصلنا في الوقت المناسب .

التقى حاجبا (طارق) قليلاً ، وهو يقول :

- عجباً ! رجال الشرطة يندفعون خارج المستشفى .

كما لو أنهم ..

بقر عبارته بقعة ، وهو يفكر في عسق ، فسأله

(أكرم) في نوتر ، وهو يستل مسدسه بحركة حادة :

- كما لو أنهم ماذا ؟

أجابته (طارق) في بطء :

- كما لو أنهم يطاردون شخصاً ما .

ثم انصرف فجأة بالهليلوكوبتر ، مضيقاً في حزم :

- شخص خلفي .

ارتفع حاجبا (أكرم) في دهشة مستكرة ، وهو

يهتف :

- ماذا تفعل يا هذا ؟

أجابته (طارق) في اهتمام ، وهو يدفع إليه

حقيبته :

- من الواضح أن ذلك النور قد انتهى من مهمته ،

وبدا يفقد طاقته . لذا فقد أحاط نفسه بغلاف الإخفاء .

وغامر المكان ، وهم يبحثون عنه الآن .

هتف (أكرم) في غضب :

- عظيم .. دعنا نهبط عند المستشفى الآن ، لنطمئن

على (نور) و (سلوى) .

أجابته (طارق) في حزم شديد :

- ليس الآن .. افتح الجهاز ، وابحث عن برنامج

باسم (النور) ، ثم انتقل إلى البرنامج الفرعي

(مسارات) ، وسيمكنك تحديد الاتجاه ، الذي ينبغي

أن نتخذه ، لتتعقب الشاب .

صاح (أكرم) :

- لتعقب من ؟ المفترض أن تكون الأولوية

لـ (نور) و (سلوى) .

قال (طارق) في صرامة :

- كلا يا رجل .. إننا رجال مخابرات علمية ،

والأولوية المطلقة لدينا للمهمة ، التي تم إسنادها إلينا ،

ومهمتنا هي العثور على ذلك النور ، وتدميره ، أو

منعه من مواصلة حملته الثأرية الغامضة ..

صاح (أكرم) فى ثورة :

- وماذا عن (نور) و (سلوى) ؟

أجابه (طارق) بنفس الصرامة :

- لقد انتهى التسوى من مهمته بالمستشفى ، ولو أنه كان يهدف إلى (نور) و (سلوى) بالفعل ، فقد فعل ما قطعه ، ولم يعد بوسعنا إعادة عقارب الساعة إلى الوراء .

رمقه (أكرم) بنظرة غاضبة ، وهو يقول :

- يا لركة مشاعرك !

صمت (طارق) لحظة ، قبل أن يقول فى حزم

بالغ :

- لن أضيع فرصة نادرة كهذه ، للظفر بخصم مثله ، بمجرد أن مشاعري العريضة تصرّ على مخالفة المنطق والواقع ، والخضوع لتزوة عاطفية سخيفة .

ثم التفت إليه ، مستطرداً :

- هيا يا رجل .. انفض عن نفسك كل تلك العواطف ، وابدأ فى تشغيل برنامج المسار .. هيا .

صمت (أكرم) بضع لحظات ، ثم هز رأسه ، مضجاً فى حلق :

- اللعنة !

وأسرع يفتح الجهاز ، ويستعير برنامج المسار ، الذى رسم أمامه خريطة لمدينة (القاهرة) الجديدة ، ثم ارسمت فوقها ثلاثة خطوط حمراء ، و (طارق) يقول :

- هذه هى الاتجاهات ، التى اتخذها فى عملياته الثلاث السابقة ، بعد أن انتهى من مذبحته ، والمفترض أنها تشير إلى حيث يختفى أو يقيم .

قال (أكرم) فى عصبية :

- ولكنه يحيط نفسه بخلاف الإخفاء ، كما تقول .

أجابه (أكرم) : وهو يدور بالهليوكوبتر فى سماء المدينة :

- دراساتى تقول : إنه لن يمكنه أن يفعل هذا طوال الوقت ، وإلا نفذت طاقته ، ونضبت تماماً .. سيضطر حتماً لرفع ذلك الخلاف ، عندما يتصور أنه صار بعيداً عن مواضع الخطر ، وعندئذ سيلتقطه جهاز تحديد الطاقة ، وسيمكنا تتبعه إلى وكرد .

سأله (أكرم) :

- ثم ؟

صمت (طارق) لحظة ، قبل أن يجيب :

- ثم سيكون علينا أن نترجل .

التفت إليه (أكرم) بحركة حادة ، هاتفاً :

- نترجل ؟

أجابته (طارق) في حزم :

- نعم يا رجل .. نترجل .. وعليك أن تؤجل عقلك

لفعل هذا ، أو ...

قبل أن يتم عبارته ، انطلق فجأة أزيز محدود ، من

جهاز تحديد الطاقة ، وظهرت على شاشته بقعة

صراء متحركة ، فهتف (أكرم) ، وجسده كله

يلتفض الفصلا :

- ها هو ذا .. لقد أزال الغلاف .

التقى حاجبا (طارق) ، وهو يقول :

- عظيم ..

ثم ألقى نظرة سريعة على شاشة جهازه ، وهو

يعمل بالهنيوكوتر ، لينطلق نحو الهدف ..

الهدف الخارق ..

★ ★ ★

كان انفجار الصاروخ قويا بالفعل ، حتى إنه أطاح

بجزء من جدار الحجرة ، فاندفعت الأجزاء المعطمة

نحو (سلوى) و (نور) في عنف ..

ولكنها ارتكمت أولاً بالباب الخشبي السميك ، الذي

احتمت به (سلوى) ، وأخفت خلفه فراش (نور)

ومع دوى ارتطام الأحجار بالباب ، فقدت (سلوى)

أعصابها ..

وراحت تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

والعجيب أن كل تلك الصرخات لم تتجاوز حلقها ..

لقد انطلقت كلها في أعماقها ، وانحبست في داخلها ،

وجسدها يرتجف في عنف شديد ..

فيما عدا الصرخة الأخيرة ..

وحدها نجت في تجاوز أسوار حلقها ، فالتفجرت

عالية مدوية ، في المكان كله ..

وارتفعت عيون كل رجال الشرطة نحو مصدر

الصرخة ..

وهتف كبيرهم ، وهو يعدو محاولاً البحث عن ذلك

الخصم ، الذي تلتصق أمام أعينهم ، كما لو أنه ذاب
في العدم :

.. فلننتحر أحدكم ما يحدث هنا .

اندفع أحد الرجال نحو الحجرة ، وقفز فوق الحطام ،
الذي يسد مدخلها ، وصوب مسدسه الليزري إلى
الباب الخشبي ، هاتفاً :

.. من هنا ؟

جاوبه صعل عفيف ، قبل أن تهتف (سلوى) :

.. النجدة .. أنا (سلوى) ، من المخابرات العلمية ..
استدع فريق الطوارئ الطبي بالله عليك .. زوجي
(نور) مصاب .. أسرع يا رجل .. أسرع .

هتف الشرطي :

.. زوجك (نور) ؟ اتعنين المقدم (نور الدين) ،
رجل المخابرات العلمية ، وبطل التحرير ؟

أجابته باكياً :

.. إنه هو .. أسرع يا رجل ، قبل أن تضيق إلى

تلك الألقاب كنمة (سابقاً) ..

لم يفهم الرجل ما تعنيه لفظة الأولى ، إلا أن هذا
لم يمنعه من أن يفتزع جهاراً اللامسكى ، المعلق في
حزامه ، ويهتف غيره :

.. حالة عاجلة ، في الطابق الثاني ، تحتاج إلى
إسعاف طبي على الفور .. أكرر ..

تردد هتافه عبر كل مكبرات الصوت بالمستشفى ،
وانتقل إلى كل رجل شرطة في المنطقة كلها ..
ولكن كانت هناك مشكلة ..

لقد حطّم ذلك النور في هجومه ، كل شيء
تقريباً ..

قسم الطوارئ ..

حجرات العمليات الجراحية ..

مستودع العقاقير الطبية ..

وحتى قسم رعاية الحالات الحرجة ..

كل شيء ..

وتقريباً ، لم يكن هناك مكان يمكن فيه علاج (نور) .

أو مواصلة رعايته ..

وفي ارتياح ، هتفت (سلوى) :

.. أين الجميع ؟ أين الأطباء ، والممرضات ؟ أين

كل شخص هنا ؟ لا بد من إسعاف (نور) بأقصى
سرعة .. لقد انتزعت كل الأسلاك والألياف الدقيقة

عن جسده بقوة . وتمت أخرى ما يمكن أن يطمئنه به
هذا ، ولا ما الذي ..

سعل (نور) بحة ، ليتر عيارتها ، فالتفت إليه
في سرعة ، هاتفة :

- رباه ! (نور) !

سعل مرة أخرى في قوة ، ثم استقع وجهه في شدة ،
وبدا وكأن صدره لم يجد قابلاً على تردد أنفاسه .
فصاحت :

- (نور) .. ماذا أصابك ؟! ماذا بك ؟!

شهق (نور) في قوة ، ثم تهالك جسده دفعة
واحدة ، فصرخت :

- لا .. لا يا (نور) .. لا .

وبكل ما يحتشد به صدرها ، ويموج به كبتها ،
صرخت :

- (نور) .. (نوروووور) ..

وتردأت صرختها في المستشفى كنه قوية مجلجلة .
و ...

وما من مجيب ..

* * *

« إننا نقرب منه بالتأكيد .. »

نطق (أكرم) العبارة في اتفعل شديد ، وهو يشير
إلى البقعة الحمراء ، التي ازدادت تألقاً ، على شاشة
الجهاز ، و (طارق) يواصل التحقيق بالهنيئوتير .
في سماء (القاهرة) الجديدة ، ففهم هذا الأخير ،
في اهتمام ملحوظ :

- هذا صحيح .. إنه هنا في مكان ما .. وسط المارة
والسيارات ، التي تكتظ بها الطرقات ، في هذه
المساحة .. أتعلم أن نتعرف سيارته .

قال (أكرم) في دهشة :

- سيارته ؟! أيقود مثله سيارة عادية ؟!

أجاب (طارق) بدهشة مماثلة :

- ولم لا ؟! أعتقد أن كونه نووياً ، يجعله قادراً

على قطع تلك المسافات الطويلة ، سيراً على الأقدام ؟!

نطق (أكرم) شفتيه في شيء من الحيرة ، قبل أن

يهز كتفيه ، قائلاً :

- كنت أتصور أنه سيطير مثلاً .

ارتفع حاجبا (طارق) في دهشة أكثر ، ثم ابتسم
في شء من السخرية ، قائلا :

- اه .. من الواضح أنك كنت تكثر من قراءة
الروايات المصورة في صباك ، وعلى الأخص روايات
(سوبرمان) (*)

اعتقد حاجبا (أكرم) في حقيق ، وهو يقول في
عصبية :

- كانت مجرد ملاحظة .

أوماً (طارق) برأسه ، مضغاً :

- يمكنني فهم هذا .

ثم أشار إلى شاشة جهازه ، متابعا في الفعل :

- أعتقد أنه تحتنا مباشرة الآن .

(*) سوبرمان : شخصية خيالية ، ابتكرها (جوشاستر)
(هيرر سجال) - إبان الأزمة الاقتصادية الأمريكية في الثلاثينات ،
وهي لطفل جاء من كوكب آخر ، واكتسب قوى خارقة على كوكب
الأرض ، جعلته قادرا على الطيران ، وروية الأشياء البعيدة
والمحمية . كما تمتلك مناعة ضد كل أنواع الأسلحة المعروفة ،
ولقد استخدم قوته هذه لعمل الخير وتحقيق العدالة .

اعتقد حاجبا (أكرم) في شدة ، ومال برأسه
متطلعا إلى عشرات السيارات ، التي تشق طريقها
تحتة ، وغمغم متوكرا :

- هل يمكنك تحديد موقعه بالضبط ؟

أجابته (طارق) ، وهو يبتسم من سرعة
الهلوكوبتر :

- لا تتعجل الأمور .. إننا نقرب من مفترق طرق .
وذلك الفيض من السيارات لن يلبث أن ينقسم إلى
عدة مجموعات صغيرة ، كل في اتجاه ما ، وعندئذ
سيمكننا تحديد الأمر أكثر .

بدا الضيق على وجه (أكرم) ، واعتدل في مقعده ،
مضغاً :

- أتخشم هذا .

كان يشعر بتوتر هائل ، يطغى على مشاعره كلها ؛
لأنه يقترب من خصمه النووي ..

ولأنه ما زال يجهل مصير (نور) و (سلوى) ..
ومن أعصى أعماقه ، تصاعدت رغبة ملحة في
الاتصال بالمستشفى ، والمواظب عليهما ..

ولكنه ، ولسبب ما ، كان يخشى أن يفعل ..

ربما لأن الشعور بالذنب وتائب الضمير . ثم
بفارقة بعد ..

أو لأنه يخشى أن يجد ما يضطره إلى إيقاف
المطاردة ، والعودة إليهما !!

إله . تمامًا مثل (طارق) . يجد أنها فرصة مثالية :
لتحديد موقع تلك النوى ، وبلوغ وكرة الخفى ..

ولكنه يرفض الاعتراف بهذا ..

أو بخشاه ..

وبشدة ..

وكمحاولة لإبعاد الأمر عن ذهنه . راح يشغل عقله
بمراقبة السيارات . التي اقتربت من المفترق . ثم
راحت تنقسم إلى مجموعات صغيرة بالفعل . وعندئذ
قال (طارق) في حماس :

- ها هو ذا .. لقد اتخذ الطريق . الذي يمر بمحاذاة
أطلال (القاهرة) القديمة .

هتف (أكرم) :

- حقًا ؟!

كانت السيارات . التي اتخذت هذا الطريق محدودة
للغاية . لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة . لذا فقد حثق

(طارق) لئولها . والافعال بضمه مع (أكرم) .
الذي أمسك مسدسه بحركة غريزية . وأحاط مقبضه
بأصابعه في قوة . وعينه تفحصان ذلك العدد المحدود
من السيارات . وهو يتمنى أن يمتلك تلك القدرة
الخرافية . على النفاذ ببصره عبر الحدود : لروية
خصمه . وتحديد موقعه وهويته . و ...

وفجأة . انحرفت إحدى السيارات . وتوقفت أمام
متجر كبير ..

ومع توقفها . توقفت تلك البقعة الحمراء على
الشاشة ..

وبكل حماسه . هتف (طارق) :

- ها هو ذا .

سأله (أكرم) في انفعال :

- أنت والحق ؟!

تعطلت عيونهما بانشباب . وهو يغامر السيارة .
ويوجه في هدوء نحو المتجر . وقال (طارق) :

- بلا أدنى شك .. إنه يصحى لشراء غذاه .. جسمه
يحتاج الآن إلى الكثير من الطعام . قبل أن يغرق في
سيات عسيق محدود .. لقد توقف لشراء طعامه .

تردد العقاد حاجبى (أكرم) فى شدة ، وهو يقول :
 - إذن فهذا هو .. هذا هو .
 ثم سأل فى لهفة :
 - أأنت الذى من أنه لا يستخدم تلك الأعطلة الواقية
 الآن ؟

أجابته (طارق) ، وهو ينخفض بالهشوكويتز :
 - بالطبع .. إنه ..
 قبل أن يتم عبارته ، فوجئ به (أكرم) بصوت
 مسمندة إلى الشاب ، هاتفاً :
 - فيم انتظارنا إذن ؟
 هتف به (طارق) :
 - لا .. لا تفعل ..

وكن هتافه ضاع مع دوى الرصاصات ، التى
 أطلقها (أكرم) فى حزم وسخاء ، نحو ذلك الشاب
 اللوى ..
 وكانت مفاجأة حقيقية للشاب ..

لقد انتهت عليه عشرات الرصاصات ، عند باب
 المتجر ، وفوجئ بإحداها تخترق كتفه ، وبثانية
 نفوس فى جدار بطنه ، فوثب داخل المتجر ، مطلقاً



لقد انتهت عليه عشرات الرصاصات ، عند باب المتجر ،
 وفوجئ بإحداها تخترق كتفه ..

صرخة غضب هادرة ، فى نفس الوقت الذى هتف فيه
(طارق) ، داخل الهليوكوبتر :

- ماذا فعلت أيتها النفس !! لقد أثرت جنونه .
أجابه (أكرم) فى عصبية :

- لم يكن من الممكن أن أضيع فرصة كهذه .
دار (طارق) بالهليوكوبتر ، وهو يقول :

- فلندع الله إذن أن نتمكن من القرار ، قبل أن ...
ثم يائن قد أتم عبارته بعد ، عندما يبرز النووى من

المتجر . وجسده بضوء باهت ، وأطلق صرخة
غاضبة قوية ، وقبضته ترتفع نحو الهليوكوبتر ..

وبلا تردد ، أطلق (أكرم) رصاصاته مرة أخرى .
ورأى تلك الكرة من النيران ، التى انطلقت من
قبضة النووى ..

وصرخ (أكرم) :

- احترس يا (طارق) .

وجذب (طارق) ذراع الهليوكوبتر فى قوة ، ولكن
الكرة انفارية كانت تنطلق بسرعة خرافية ، جعلتها

تبلغ الهليوكوبتر فى لحظة واحدة ، و ...

ودوى انفجار محدود ..

النفجار أطاح بطرف ذيل الهليوكوبتر ، مع صروحتها
الخفيفة ..

واشتعلت النيران فى باقى الذيل ..

وفقدت الهليوكوبتر توازنها ..

وهوت ..

وبمنتهى العنف .

* * *



٢ - أربع ساعات ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الخامسة
عصرًا .

كل شيء كانت تسوده الفوضى والاضطراب فى
المستشفى ..

حالة الذعر الهائل ، التى سيطرت على الجميع ،
مع الهجوم العنيف ، جعلتهم يفرّون خائفين هلعين ،
تاركين المكان كله خلفهم ..

وكانت (سلوى) تنهار ، وزوجها يلفظ أنفاسه
الأخيرة بين يديها . والشرطى يطلق النداء تلو الآخر ،
فى محاولة لاستدعاء من ينقذ حياته ..

وبكل مرارة الدنيا ، هتفت (سلوى) :
- لا .. لا يمكن أن يفعلوا بنا هذا .. لا يمكن أن
يتروكنا الجميع هكذا .

« هذا صحيح يا سيّدتى .. »

ارتجف جسدها كله مع العبارة ، واستندرت إلى
مصدرها فى لهفة ، وكاد قلبها يشب من بين ضووعها ،
عندما وقع بصرها على أحد أطباء المستشفى ، فى

مخطفه الأبيض ، وهو يشق طريقه إليها ، مستطرذا :
- لا يمكن أن نخشى عن يحتاج إلينا .. إنها
رسالتنا .

تنهّد الشرطى فى ارتياح ، مغمغمًا :
- حمدًا لله .

أما (سلوى) ، فقد تعلّقت بالطبيب ، هاتفة :
- انقذ حياته يا سيّدى .. أرجوك .

رَبَّت الطبيب على يدها ، قائلاً :

- سأبذل قصارى جهدى يا سيّدتى .

وبسرعة ، راح يفحص (نور) ، الذى بدا شاحبًا
كالموتى ، وغغم :

- آه .. إنها صدمة ارتدادية .. لقد توقفت منشاطات
القلب ، دون سابق إنذار .. إنه يحتاج إلى إسعاف
عاجل بالفعل .

هتفت يائسة :

- ولكن كيف ؟! لقد تحطّم كل شيء .. كل شيء ..

أجابها فى حزم :

- حتى هذا الطابق مخرب يا سيّدتى .

ثم التفت إلى الشرطى ، مستطرذا :

- هيا يا رجل .. تعاون معي : لننقل المقيّم (نور)
إلى الطابق الثالث ، حيث حجرة العمليات الجراحية
الرئيسية .. أسرع .

سأنته (سلوى) في دعر :

- هل .. هل يحتاج إلى عملية جراحية عاجلة ؟

لجانبها الطبيب ، وهو يتعاون مع الشرطي لحمل
فراش (نور) خارج الحجرة المحظية :

- كلا يا سيدتي ، ولكن هناك وحدة عناية مركزة ،
ملحقة بحجرة العمليات الرئيسية ، تحسباً لأية طوارئ
مماثلة . في أثناء إجراء أية جراحة كبرى ، وتلك
الوحدة مجهزة بكل ما نحتاج إليه .

ثم عاد يهتف بالشرطي :

- أسرع يا رجل بالله عليك .

كانت المصاعد كلها معطلة ، فإجراء وقائي ، بعد
انطلاق إنذار الحريق (*) ، وتكثف الطبيب والشرطي
جاءها لحمل الفراش ، عبر درجات السلم ، واتضح
لبيهما بعض الممرضين والعاملين بالمستشفى ، الذين
عادوا إليها ، بعد انتهاء الموقف ..

(*) في حالات الحريق أو الزلازل ، من الخطر استخدام
مصاعد ، خشية انقطاع كهربائها ، وسقوطها عنيف من ارتفاعات
كبيرة ، أو انقطاع التيار ، وتوقفها غير المتوقع بين الطوابق .
واحتجاز ركابها داخلها .

وفي عنف ، راح قلب (سلوى) يدق ..
ويدق ..

ويدق ..

حتى بلغ الرجل وحدة العناية المركزة ، الملحقة
بحجرة العمليات الرئيسية ..

وما إن تم وضع فراش (نور) داخلها ، حتى بدأ
الطبيب عمله على الفور ، وهو يلقي أوامره وتعليماته
إلى الممرضين والممرضات في سرعة ودقة ..
وتحرك فريق العمل كخلية نحل ، مفعمة بالنشاط
والحيوية ..

بعضهم راح يوصل جسد (نور) بمجموعة جديدة
من الأسلاك والأنابيب الدقيقة ، التي تتصل بأجهزة
طبية خاصة ، تعمل على قياس نبضه ، وضغط الدم
في عروقه ، وضربات قلبه ، وإشاراته الكهربائية ،
وتنبذات مخه ، وتنقل إليه عدداً من السوائل والأغذية ،
التي تحافظ على حيوية خلاياه ونشاطها ..

والبعض الآخر راح يذلك صدره ، ويحقنه بالأدوية
والعقاقير اللازمة ..

واتهمرت دموع (سلوى) في غزارة ..

وخفق قلبها في عنف ..

ولأنكر من اثنتي عشرة دقيقة ، وقفت تراقب
ما يلعبه الرجال في صمت ، ورأت العرق يتصبب على
وجوههم في عزلة ، دون أن يتوقفوا لحظة واحدة ..
ورأت الطبيب يتابع شاشات الأجهزة الطبية طوال
الوقت ..

وأدركت أن زوجها يمر بموقف دقيق ..

وعصيب ..

للغاية ..

ومن أعرق أصابع قلبها ، ودون أن يصدر عنها
أدنى صوت ، هتفت :

- أعتقد يا إلهي ! أعتقد من أجلتي .. من أجلنا
جميعاً .

لم يعد الهتاف يتردد في أصابعها ، حتى رفع
الطبيب عينيه إليها ، والعرق يغمر وجهه ، وارتسمت
على شفتيه ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

- أعتقد أنه سينجو يا سيدي .

خفق قلبها في عنف ، وتفجّر من عينيها نبع من
الدموع ، وهي تهتف :

- حمداً لله .. حمداً لله ..

ومع الدموع المنهمرة من عينيها ، وعلى الرغم
من تجاه (نور) هذه المرة ، تقفز إلى ذنبها سؤال
مخيف ..

ماذا لو لم تكن هذه هي المحاولة الأخيرة للنوى .
للقضاء على (نور) ؟

وماذا لو أنه هاجم مرة أخرى ؟

ونجح !!

ومع هذا السؤال ، ارتجف قلبها مرة أخرى في
عنف ..

وفي ارتياح ..

* * *

لم تكن الكرة النارية ، التي أطلقها النوى ، بنفس
قوة كراته السابقة ، التي استخدمها في هجومه على
المستشفى ..

وهذا لحسن حظ (طارق) و (أكرم) ..

فلو أنه أطلق نحوهما كرة نارية كاملة القوة ،
لنسفت الهليكوبتر كلها بضربة واحدة ، وأحالتها إلى
كومة من الفتات والشظايا المتناثرة ..

ولكن كرتة هذه نسفت الذيل فحسب ..

وفقدت الهليوكوبتر توازنها بالطبع ..

وراحت تدور حول نفسها ، وهي تهوى ..

وتهوى ..

وتهوى ..

نحو الأطلال القديمة ..

وفي غضب ، هتف (أكرم) :

- لقد ظفر بنا الوعد .

أجابته (طارق) في حزم صارم :

- ليس بعد .

التفت إليه (أكرم) في دهشة ، فتابع ، وهو يحل

حزام مقعده :

- استعد يا رجل .. سنقفز من الهليوكوبتر ، فور

اقتربها من الأرض .

استعت عينا (أكرم) ، وهتف :

- هل جئت ؟

تخلّى (طارق) عن عصا القيادة ، قائلاً :

- وما الذي يمكن أن نخسره ؟

تفجر القول في رأس (أكرم) ، وجعله يعيد مسدسه
إلى حزامه ، ويحل رباط مقعده ، قائلاً في حزم :
- صدقت .

كانت الهليوكوبتر تقترب من الأطلال بسرعة
مخيفة ، وتدور حول نفسها في عطف ، فتطيق
بصرهما بالأرض ، وهي تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

ثم هتف (طارق) :

- الآن .

ومع هتافه ، وثب الاثنان ..

وشعر (أكرم) وكأنه يلقي بنفسه من الطابق
الخامسين ، على الرغم من أن الهليوكوبتر لم تكن
تبعد عن الأرض بأكثر من عشرة أمتار ..

ودأى جزءاً من الأطلال يقترب منه في سرعة ،
فتنى ركبتيه إلى صدره ، وحمى وجهه بذراعيه ،
وشعر بجسده يرتطم ببقايا جدار في عطف . ثم يسقط
فوق كومة من الصخور الصغيرة ، ويتحرج عليها
في قوة ، وسط عاصفة من الغبار ، قبل أن يتوقف ،
وينهال عليه الغبار في كثافة ..

وفى نفس اللحظة ، سمع دوى انفجار الهليوكوبتر ،
على مسافة عشرين متراً منه تقريباً ..

ورأى لنا من النهب ، يرتفع إلى غان السماء .
ثم هدأ كل شيء ..

ولثوان ، نهض (أكرم) صامتاً ، يحدق فيما حوله
فى ذهول ، وكأنه لا يصدق أنه نجا ..

ثم فجأة ، القابته قرحة غامرة ، جعلته يهتف :

- يا إلهى ! لقد نجونا .. فعلناها ونجونا .

وأطلق ضحكة عالية ، تسوج بالانفعال ، قيل أن
يعدو وسط الأطلال ، رافعاً ذراعيه إلى السماء ،
وهاتفاً :

- حمداً لله .. حمداً لله .. أشكرك يا إله العالمين ..

لك الحمد والشكر .

ثم توقفت فجأة ، وتلفت حوله ، صائحاً :

- (طارق) .. أين أنت ؟

أنا صوته وأهنا ضعيفاً ، يجيب :

- أنا هنا .

انطلق يعدو إلى مصدر الصوت ، واتسعت عيناه

فى ارتباك ، وهو يهتف :

- رباه !.. (طارق) .

كان (طارق) منقى بين بعض الأحجار الكبيرة ،
وقد اتهار جزء من جدار قديم على ساقه اليسرى ،
وبدا الألم واضحاً على ملامحه ، فأسرع (أكرم)
يرفع أجزاء الجدار ، وهو يسأله فى توتر :

- كيف حدث هذا ؟

أجابته (طارق) فى ألم :

- انفجار الهليوكوبتر أسقط الجدار .

ردد (أكرم) :

- يا إلهى ! يا إلهى !

ابسم (طارق) فى صعوبة ، وهو يقول :

- هذا أفضل ما يمكن حدوثه يا رجل .. كان يمكن

أن تلقى مصرعنا مغاً .

ثم عرض شفتيه فى ألم ، قيل أن يضيف :

- أكثر ما يؤلمنى هو أننى لفقت جهازى .

قال (أكرم) ، وهو يرفع الأنفاس عن ساقه :

- كل شيء يمكن تعويضه يا (طارق) .. كل

شيء .

انتهى (أكرم) من رفع الأحجار وبقي الجدار ، ثم

الحنى يخصص سائق (طارق) فى اهتمام ، قبل أن
يقول :

- أعتقد أنها لم تتعرض للكسر .. صحيح أننى
نسيت طبيياً ، ولكن الحياة القاسية ، التى عشتها فى
صبار ، منحنتنى القدرة على معرفة هذه الأشياء .
ثم اعتدل جالساً ، إلى جوار (طارق) ، وهو
يمتطرد :

- تماسك يا صديقى ، وستصل النجدة بعد قليل ..
قالتها ، وهو يضغط زر الاستغاثة ، فى جانب
ساعته ، وعقله يحلل عشرات التوترات والتساؤلات .
وكلها تدور حول ذلك العدو ..
العدو الرهيب ..
الخارق ..

* * *

تهبّ الدكتور (حجازى) فى عصف ، وأدار بصره
بين أفراد الفريق ، قبل أن يقول :

- أعتقد أننى لن أكون مبالغاً ، لو قلت إنكم نجوتم
بمعجزة .

أوماً (أكرم) برأسه إيجاباً ، وقال :

- هذا صحيح يا دكتور (حجازى) .. (نور)
(سلوى) نجوا بمعجزة من هجوم النووى على
المستشفى ، وأنا و (طارق) كان من السهل أن
نلقى مصرعنا ، عند الأطلال القديمة ، ولكن كل هذا
انتهى بكومة من المسحجات والكدمات ، مع تصزق
أربطة كاحل (طارق) .

قالت (نشوى) فى توتر :

- ولكن لماذا سعى النووى للقضاء على أبى ؟
هذا لا يتفق قط مع كل عملياته السابقة ! من
المستحيل أن يكون هناك ما يربط بين أبى وثلاثة من
كبار المسؤولين ، مقاماً وعمراً ؟
أشار (رمزى) بيده ، قائلاً :

- أعتقد أن الهجوم على (نور) لم يكن جزءاً من
حملة الثأر هذه ، وإنما هو نتيجة مباشرة لمحاولتنا
استفزازهم .

التقى حاجبا (طارق) فى شدة ، فى حين بدا
الانزعاج على وجه (نشوى) ، وهتف (أكرم)
مستكراً :

- انتهى أن (نور) و (شوى) قد واجها كل ذلك
الخطر : بسبب الحديث ، الذى أدلى به (طارق) ،
على شاشات التلفزيون ؟
قال (طارق) مستعيداً هروء المستفز ، مع لكمة
صارمة :

- لم أكن أتوقع هذا قط .

أصرع (رمزى) يقول :

- ولا أنا .. وهذا يعنى أن ذلك الشاب لا ينتهج أى
مسار نفسى معروف ، حتى بالنسبة للمرضى ، وأن
عقله مضطرب للغاية .

قال (أكرم) فى حدة :

- إذن خطوة (طارق) فاشلة .

هز (رمزى) رأسه نفياً ، وقال :

- على العكس .. إنها سليمة تماماً ، فعلى الرغم
من النتائج السلبية لها ، إلا أنها أثبتت أمراً بالغ
الأهمية ، وهو أن خصمنا يمكن استنزاه ، ونقله
إلى مسار فرعى بالفعل ، فقد توقف عن تنفيذ خطته
الانتقامية ، لتوجه ضربة إلى (نور) .

قالت (شوى) فى عصبية :

- سننضى فى خطتنا إذن .

أجابها (رمزى) فى حزم :
- بالتأكيد .

ثم نهض من مقعده ، وراح يتحرك فى المكان ،
متابعاً فى اهتمام بالغ :

- كنا نعلم أن (نور) قد تم نقله إلى وحدة عناية
خاصة ، فى مبنى الأبحاث العلمية ، تحت إشراف
الدكتور (ناظم) ، ونخبة من أفضل الأطباء ،
وأكثرهم خبرة وبراعة ، ولكن أحداً سوانا لا يعلم
هذا ، لذا فسنعمل على تعديل خطة (طارق) ، ونقوم
بتسريب معلومة خاطئة إلى (مشيرة) ، حول انتقال
(نور) للعلاج هنا ، فى مقرنا الصحراوى ، ثم نعاود
استفزاز خصمنا بشدة ، بحيث ندفعه دفعا للسعى
خلفنا ، ومهاجمتنا بمنتهى العنف ، وعندئذ نبدأ فى
تنفيذ الشق الأساسى من خطة (طارق) .

عدل (طارق) وضع قدمه المحاطة بجبيرة هوائية
أمامه (*) ، وهو يقول :

(*) أحدث الوسائل الطبية ، لجبر العظام المشوكة . هو
استخدام جبائر من المعادن الرقيق ، يتم نعلها بالهواء . بحيث
تقوم بعمل جبائر الأسمنت القديمة ، المعروفة والمستخدمة حالياً .

- معطرة يا الدكتور (رمزي) .. أدرك جيداً أنك قائد الفريق ، والخبير النفسى الوحيد به ، ولكننى لا أعتقد أن هذا التعديل يقضى ، لدفع خصمنا إلى التخلي مرة أخرى عن حملته الثأرية ، ومهاجمتنا هنا .
سأله (رمزي) فى اهتمام :

- ماذا تقترح إذن ؟

أجابته فى حماس عجيب :

- نفس ما اقترحت من قبل .. أن نستخدم نفس الوسائل التقليدية القديمة .. إننا نعلم الآن أى اتجاه يتخذه ، للعودة إلى وكره ، ونعلم أيضاً أنه مضطرب لتناول وجبة بسمة ضخمة ، بعد كل هجوم . وهذا ما نفعه لمهاجمة المتجر ، بعد قتاله معنا ، وبعد أن يتناول وجبته تلك ، سيخلد إلى نوم عسيق للغاية ، يستمر ما بين ثلاث أو أربع ساعات ، قبل أن يستعيد طاقته وقوته ، ويستعد لشن هجوم جديد .. وأعتقد أن أفضل ما نفعله ، هو أن نتحرك بأقصى سرعة ، خلال هذه الساعات الأربع .. سندفع زوجة (أكرم) إلى إعلان أمر المقر الصحراوى ، مع القصة الملفقة لعلاج (نور) هنا ، وفى الوقت نفسه سنعلن صورة

خصمنا فى كل مكان ، وترسل قوة ضخمة لتسيطير المناطق ، التى يحتمل وجوده فيها .. باختصار ، سنحاصره ، ونقله ، ونحوكه من صياد إلى فريسة ، يسعى إليها الجميع ، وسنعلن فى كل مكان أننا وراء ما يحدث ، بحيث لا يعود أمانه سوى أن يهاجمنا ، دفاعاً عن حياته ، وعن استمرار حملته الثأرية .

أومات (نشوى) برأسها ، مغفمة :

- فكرة رائعة .

أما (أكرم) ، فليسمع ، قاتلاً :

- ألا يفوتك شيء قط ؟

هز (طارق) كتفيه ، مغفماً فى خفوت :

- إننى أحاول بذل قصارى جهدى .

قال الدكتور (حجازى) فى سرعة :

- وكلنا نشهد لك بالبراعة ، فى هذا المضمار يا رجل .

غمغم فى شيء من الخجل :

- أشكرك .

ران على المكان صمت قصير ، قطعته (نشوى) ،

وهى تسأل (طارق) :

- عندما أطلقت أسمى إشارة الاستغاثة ، كنت تتحدث

عن فكرة جديدة ، لكشف هوية النور .. أليس
كذلك ؟

أجابها (طارق) :

- هذا صحيح .. أعيدى عرض ذلك الفيلم ، الذى
صورته آلات المراقبة ، فى منزل مدير المخابرات
العامة الراحل ، وسأشرح لك فكرتى .

نهض (أكرم) يعيد عرض الفيلم ، وتابعه الجميع
فى مرارة ، حتى وصلوا إلى تلك اللحظة ، التى أخرج
فيها النور مدير المخابرات من السيارة المقنونة ،
وراح يتحدث إليه ، فهتف (طارق) :

- ها هو ذا المشهد الذى أريده .

أوقف (أكرم) عرض الفيلم ، وثبت الصورة على
الشاشة ، وهو يقول :

- وما الذى يمكن أن يفيدنا به هذا المشهد ؟

أجابها (طارق) ، مشيراً إلى الشاشة :

- من الواضح أن النور يتحدث مع المدير ، قبل أن
يفتك به ، ومما لا ريب فيه أنه يروى له سبب انتقامه
منه ، أى أنه يتحدث عن القضية ، التى تبحث عنها .

قالت (نشوى) فى اهتمام :

- هذا صحيح ، ولكننا لا نرى سوى جانب وجهه ،
ولا يمكننا تمييز ما يقوله ، أو حتى رؤية حركة
شفتيه فى وضوح .

قال (طارق) :

- بالضبط .. إننا نعجز عن قراءة شفتيه ، من هذه
الزاوية ، ولهذا سألتك عن برامج التماثل ثلاثية
الأبعاد .

تألفت عيناها ، وهى تهتف فى حماس :

- آه .. فهمت .. يا لها من فكرة !

التفت حاجبا الدكتور (حجازى) فى تساؤل ، فى
حين قال (أكرم) فى عصبية :

- هل يمكننى أن أفهم أيضاً ؟

التفت إليه (نشوى) ، قائلة فى حماس :

- سأشرح لك ما يريد (طارق) .. إنه يريد منى
أن أستخدم برنامج التماثل ثلاثى الأبعاد ، لتحريك
جسد النور ، إلى زاوية لم تلتقطها آلات المراقبة ،
بحيث يمكننا قراءة حركة شفتيه ، ومعرفة ما قاله
لمدير المخابرات العامة ، قبل أن يقتله .

سألها (أكرم) فى دهشة :

- أهدأ ممكن ؟

أجابته بسرعة :

- بالتأكيد .. البرنامج سيقوم بتحديد ومسح جسم
النوى ، ثم يعمل على تكوين تماثل مجسم له ،
وعندئذ يمكننا إمالة هذا التماثل ، والحصول على أية
زاوية نرغب فى رؤيتها له (*) .

سألها (أكرم) فى الجوار :

- وكى من الوقت يستغرق هذا ؟

هزأت كتفها ، مجيبة :

- ثلاث أو أربع ساعات على الأكثر .

اتفقد حاجباه ، وهو يقول فى حزم :

- ينبغي إذن أن تبدئى عمك على الفور ، دون

إضاعة لحظة واحدة .

والتقط سترته ، متابعاً .

- وسأقوم أنا أيضاً بعملى .

(*) بعض برامج الكمبيوتر المتقدمة - لرسم الأبعاد الثلاثية .

يمكنها عمل هذا فى الوقت الحاضر .

سألته (طارق) فى قلق :

- ما الذى ستفعله بالضبط ؟

أجابته ، وهو يرتدى سترته ، ويندفع نحو الباب :

- سأقوم بعملية البحث عن ذلك الوعد .

والتفت إليهم بابتسامة جذلة ، مضيقاً :

- إننى أتوق لمواجهته مرة أخرى .

قالها ، وغادر المكان ، وأغلق الباب خلفه فى حزم .

ولكنه ، وهو يقفل داخل سيارة الفريق ، وينطلق

بها نحو المدينة ، لم يكن يدرك أن تلك المواجهة

القادمة ستكون عنيفة بحق ..

عنيفة إلى أقصى حد ..

* * *

تراجعت (مشيرة) فى مقعدها فى بطن ، والنزوى

ما بين حاجبيها فى تفكير عميق ، وهى تطالع التقرير

الأخير ، الذى يحوى كل ما توصل إليه المحررون من

معلومات ، من مصادرهم المختلفة ، ولأنت بالصمت

بضع لحظات ، قبل أن تغتمغ :

- عجباً !

ثم اعتدلت تضغط زر الاتصال الداخلى ، قائلة :

- (حازم) .. أريدك في مكتبتي على الفور .
 لم تمض لحظات ، حتى دلف المحرر الشاب إلى
 مكتبها ، فسأته في اهتمام :
 - قل لى يا (حازم) : من أين أتيت بتلك
 المعلومات ، الخاصة بالمقدم (نور) ، والمقر
 الصحراوي الجديد للفرق ؟
 أرسمت ابتسامة مزهوة عنى شفقتى الشاب ، وهو
 يجيب :
 - لدى مصائري .
 سأنته في صرامة :
 - وما هذه المصادر بالضبط ؟
 أجابها في حزم :
 - القانون يمنحني حق الاحتفاظ بسرية مصائري ،
 و ...
 قاطعته في صرامة محتدة :
 - ما تلك المصادر يا (حازم) ؟
 احتقن وجه الشاب ، وهو يقول :
 - سيدي .. ليس من حقك أن ...
 قاطعته مرة أخرى ، وهي تؤمن بسبائتها في
 وجهه :

- اسمع أيها الشاب .. من الواضح أنك أخذت
 تملأ فهم ذلك القانون ، الذي يمنحك حق الحفاظ على
 سرية مصادر معلوماتك .. فالقانون ، أيها العقري ،
 يحميك من أية محاولة ، من الشرطة ، أو المنافسين ،
 لكشف المصدر ، الذي حصلت منه على معلوماتك ،
 أما بالنسبة لرئيس تحريرك ، فمن المحتم أن تطلع
 على مصدر المعلومات ، حتى يتأكد من صحتها ،
 ومن صلاحيتها للنشر والإعلان .. هل تفهم ؟
 بدا عليه التوتر الشديد ، وهو يجيب :
 - نعم يا سيدي .. أفهم .
 تألفت عيناها في ظفر ، وتراجعت في مقعدها ،
 قفلة :
 - عظيم .. والآن .. من أين أتيت بتلك المعلومات ؟
 ازدود لعبه في توتر بالغ ، قبل أن يجيب :
 - عمى يعمل في المختبرات العلمية .
 بدت عليها الدهشة ، وهي تسأله :
 - أهو أحد ضباط الجهاز ؟
 هز رأسه نفيا ، وقال :
 - بل هو المسئول عن الاتصالات هناك ، وهذا
 ما جعله على علم بكل ما يحدث .

قالت في دهشة :

- ولكن كيف أبلغك بهذه الأمور ؟! هذا مخالف لقانون السرية .

زرد لعابه ، قبل أن يغمغم :

- سيقتلني ، عندما يعلم أنني أبلغت الجريدة بمأذي .

صمتت (مثنوية) تماماً ، وعادت تتراجع في مقعدها ، وهي تتطلع إلى الشاب ، الذي بدا عليه الكثير من الاضطراب ، ثم لم تلبث أن قالت :

- فليكن .. عد إلى مكتبك .

غادر الحجر في اضطراب أكثر ، وهو يغمغم :

- أشكرك يا سيدي .. أشكرك .

ولكنه لم يكد يغادر المكتب ، حتى زأله اضطرابه هذا ، وحُثَّ مظهره ابتسامة ظافرة ، وهو يلتقط سماعة الهاتف ، ويطلب رقمًا خاصًا ، ثم يقول في خفوت :

- كل شيء على ما يرام يا سيدي .. لقد ابتلعت الطعم .

قالها ، وأنهى المحادثة على الفور ، دون أن يشرى أن (مثنوية) قد استمعت ، عن طريق جهاز يتصل بهاتفها الخاص ، إلى العبارة التي قالها ، وأن هذا قد جعلها تعقد حاجبيها في توتر شديد ، وتعاود التطلع إلى التقارير ، وهي تحك ذقنها بسناباتها في عصبية ، متممة :

- إذن فالمخابرات الطمية تسب هذه المعلومات عمداً ، على جريدة (أبناء الفيديو) .. والسؤال الآن هو لماذا ؟! لماذا تسعى المخابرات الطمية إلى إبلاغنا بمعلومات بالغة الخطورة كهذه ؟! لماذا ؟!

راحت تدبر الأمر في رأسها مرّات ومرّات ..

ولكن كل ما وضعته من تفسيرات ، لم ينجح في إقناعها .

لم ينجح في هذا أبداً ..

لذا ، فقد ألقت التقارير كلها جانباً ، مع موجة من الغضب والغضب ، شملت كتاباتها كله ، وجعلتها تتخذ قراراً صارماً ، لا رجعة فيه ..

بها لن تنشر هذه المعلومات ، أو تعطينا قط ..

ومهما كانت النتائج ..

* * *

« كل المسارات السابقة تشير إلى هذه البقعة .. »
 أدار (أكرم) عينيه في وجوه فريق الشرطة ،
 الذي يستعد لمطاردة النوروي ، وهو ينطق عبارته ،
 متيحاً إلى منطقة محدودة ، على خريطة العاصمة ،
 ثم استطرد ، ملوحاً بسبائته :

- وهذا يعني أن وكر خصمنا يوجد في مكان ما هنا ،
 وسط أطلال (القاهرة) القديمة ، وبالتحديد في
 منطقتي (القلعة) أو (المقطم) ، ومهمتكم أن
 تنتشروا في المنطقتين ، وتعملوا على تمشيطنهما
 بمنتهى الدقة .. اهدموا كل جدار يعترض طريقكم ..
 قتشوا كل شبر .. اقتبوا كل حجر ، أو اقتضى الأمر ..
 المهم أن تتوصلوا إلى وكره .

مسأله أحد الرجال في اهتمام :

- هل نشتبك معه ، عندما نعثر عليه ؟!

أجابته في سرعة وحزم :

- كلاً .. إياكم أن تقطعوا .. المطلوب منكم تحديد
 موقعه فحسب ، ومسيرة كل منكم مدحاً واقية ،
 وخوذة زجاجية داكنة ، مضادة للرصاص .
 ثم تنهت مغمضاً :



وأن هذا قد جعلها تعقد حاجبها في نور شديد ، وتعاود التطلع
 إلى التقارير ، وهي تحك ذقنها بسبائتها في عصبية

- وأرجو أن تكفى حمايتكم ، إذا ما اضطررنا للاشتباك معه .

تبادل الرجال نظرات صامتة ، ثم قال أحدهم في حزم :

- فليكن يا سيدي .. نحن على أتم الاستعداد للقيام بالمهمة .

ابتسم (أكرم) ، قائلاً :

- عظيم .. سنغادر المكان الآن ، ونتجه مباشرة إلى الأطلال القديمة ، وهناك سنقسم إلى فريقين ، وسنحاصر المنطقة المطلوبة من الجانبين ، ونعمل على تضييقها بإيقاع منظم ، حتى نلتقى في منتصفها تماماً ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، خلفت الأضواء بقعة ، وتذبذبت كل المصابيح ، فاعتقد حاجباه في شدة ، وهو يتمتم :

- رباه ! ترى هل .. لا .. أرجو أن أكون واحداً .

استمر تذبذب المصابيح لدقيقة كاملة ، ساد خلالها صمت رهيب داخل المكان ، حتى عادت تضيء في سطوع ، فسطع (أكرم) إلى الرجال ، قائلاً :

هيا بنا .

- انطلقوا جميعاً إلى سياراتهم ، التي اتجهت مباشرة إلى منطقة الأطلال ، وجلس (أكرم) إلى جوار أكبرهم رتبة ، في سيارة المقدمة ، وهو يسك مسدسه في قوة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فسأله الضابط في اهتمام :

- هل تشعر بالتوتر ؟

التفت إليه (أكرم) لحظات في صمت ، قبل أن يجيب في اقتضاب :

- بل بالقلق .

غمغم الضابط :

- هذا أمر طبيعي ، عندما يخرج المرء لمهمة كهذه .

هز (أكرم) رأسه ، قائلاً :

- لست أشعر بالقلق بسبب المهمة ، وإنما بسبب ذلك الانخفاض المباغت في التيار الكهربائي .

سأله الضابط في حيرة :

- ولماذا يقلقك هذا ؟! لعنه خليل طارئ ، في

مولدات الطاقة القديمة .. أنت تعلم أن هذه الأشياء لم تعد تصلح لأيامنا هذه .

هز (أكرم) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- كلا .. خلال المولدات القديمة لا يفعل هذا .

مط الضابط شفتيه ، وقال :

- ومن أمراك ؟

ابتسم (أكرم) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- يمكنك أن تقول : إن لدى خبرة بتلك الأمور .

تطلع إليه الضابط فى حيرة وتساؤل ، ثم لم يلبث

أن هز رأسه ، وقال :

- على أية حال ، يمكننا الاتصال بشبكة المولدات ،

وسؤالهم عما حدث .

قالها ، والتقط يوقى اللاسلكى ، وضغط زرّه ، قائلاً :

- هنا الغرفة (١) - من قوات الشرطة الخاصة ..

أريد التحدث مع مسئول شبكة المولدات الكهربائية على الفور .

ثم بكّد ينتهى من عبارته ، حتى هتف الجندى

المسئول عن فحص الطاقة ، فى الفعل :

- سيدي .. منسوب الطاقة مرتفع للغاية ، فى هذه

المنطقة .

التفت الضابط و (أكرم) إليه فى لهفة ، ووقع

بصرهما على البقعة الحمراء الكبيرة ، على شاشة

الجهاز ، فهتف (أكرم) فى نوحه :

- ريتاه ! إنه هو .

صاح الضابط فى سائق السيارة :

- أسرع يا رجل .. انصرف إلى اليسار .. أسرع .

تلقى السائق الأمر ، ونقله بسرعة إلى حالة التنفيذ ،

وانحرف بالسيارة إلى اليسار ، و ..

وفجأة ، ظهر الشاب فى مواجهتهم ..

وكانت قبضته مصوِّبة إليهم ..

وعيناه ترمقاتهم فى غضب رهيب ..

ومرّد فمّل تلقائى سريع ، قفز (أكرم) نحو

السائق ، وهتف به ، وهو يمسك عجلة القيادة ،

ويديرها فى عنف وقوة إلى اليمين :

- احترس يا رجل .

وانحرفت السيارة إلى اليمين فى حدة ..

وتطلق من إشاراتنا صرير رهيب مخيف ..

ولكن الشاب أطلق عرّاته النارية ..

واتسعت عيناه الضابط عن آخرهما ..

ودوى الانفجار .

٤ - صاعقة الشيطان ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الساعة والرابع مساءً ..

خيم صمت عجيب ، على تلك الحجرة الكبيرة ، فى المرصد الصحراوي القديم ، وقد انهمك كل فرد فيها فى عمل استغرق عنده تفكيره كله ..

(طارق) والدكتور (حجازى) كانا يراجعان أوراق وأبحاث الدكتور (فؤاد) ، فى محاولة للتوصل إلى نقطة ضعف ، فى تكوين ذلك النووى ، تفيدهما فى مواجهته ، أو تحديد مرحلة انهيار خلاياه ، التى لم تفقد بعد سماتها البشرية ..

و (رمزى) انهمك فى مراجعة كل تصرفات الخصم السابقة ، فى محاولة لإعداد تقرير نفيسى جديد ، يفيد فى استنتاج أو استنباط خطواته القادمة .

أما (تشوى) ، فقد غاصت بكيانها كله فى صنع تلك النسخة المتماثلة لاعدو النووى ، وتخوير زاوية رؤيتها ، لقراءة حركات شفتيه ، وكشف ما قاله

٢ مديرو المخابرات العامة ، قيل أن يقضى عليه بمنتهى الوحشية .

وكان (طارق) هو أول من اخترق ذلك الصمت المهيب ، وهو يقول للدكتور (حجازى) :

- المدهش أننا فى كل مرة ، نراجع فيها هذه الأوراق ، يمكننا التوصل إلى حقيقة جديدة .. هل لاحظت أن الانهيار الخلوى يبطئ تدريجياً ، بحيث يحتاج ذلك الشاب إلى كميات طعام وساعات نوم أقل ، فى كل مرة ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) :

- لقد لاحظت هذا بالطبع ، واعتقد أنه يرجع إلى فقدان الطاقة المستمر ، الذى يعيد الخلايا إلى طبيعتها البشرية تدريجياً ، فتستعيد معدلات نومها وحاجتها للغذاء إلى حد ما .

حكا (طارق) ذقته بسبأته لحظة ، قيل أن يقول فى حزم :

- منطق طريف يا دكتور (حجازى) ، ولكن من الناحية النظرية فحسب ، ولعلنا نحتاج إلى دليل علمى حاسم ، ليمكنا اعتبار هذا تطوراً فعلياً .

تتهجد الدكتور (حجازى) ، قائلًا :

- فلنأمل عثورنا عليه .

عاد (طارق) يحكّ نكهة بسبائه بضع لحظات أخرى ، وهو يتطلع فى اهتمام إلى شاشة الكمبيوتر ، ثم التفت إلى (نشوى) ، يسألها فى اهتمام بالغ :

- ما الذى توصّلت إليه ؟

فرحت عينها فى إلهاق ، مجيبة :

- لقد انتهيت من إعداد الممائل ثلاثى الأبعاد ، وبقيت مرحلة تحريكه .

سألها (رمزى) :

- وكم يستغرق هذا ؟

تفاعبت ، مجيبة :

- ساعة واحدة على الأكثر .

فصمت حاجبا (طارق) ، وهو يقول فى قلق :

- أتخشى ألا يستغرق الأمر ما هو أكثر من هذا ،

فالتفاجع الجديدة ، التى توصّلنا إليها الآن ، تشير إلى أن فترة كمونه لن تستغرق أربع ساعات ، كما كنا نتصور ، وإنما يحتمل أنه قد استيقظ بالفعل ، منذ دقائق قليلة .

عادت تصل على الكمبيوتر فى سرعة متوترة ، وهى تقول :

- سأبذل قصارى جهدى .

لوما (طارق) برأسه ، مضغًا :

- أتخشى هذا .

ثم التفت إلى الكمبيوتر مرة أخرى ، متابعًا :

- والآن يا دكتور (حجازى) .. أعتقد أننا يجب أن ...

قبل أن يتم عبارته ، انخفض منسوب الطاقة بصفة ، وتذبذبت المصابيح فى شدة ، فعاد الصمت يخطف المكان ، مشوبًا بقلق مبهم ، والجميع يتعلّمون إلى المصابيح المتذبذبة ، ثم يتبادلون النظرات فيما بينهم . وفى هذه المرة ، قطع (رمزى) الصمت ، قائلًا :

- ما هذا بالضبط ؟

غمغم (طارق) فى توتر ملحوظ :

- لست أرى ..

ارتجف صوت (نشوى) ، وهى تشير عينها فى وجوههم ، مضغًا :

- هل تخشون ما أخشاه ؟

هاتف الدكتور (حجازى) :

- لا .. لا يمكنه أن يعيد شحن خلاياه بالطاقة النووية .

التفت إليه (طارق) بحركة حادة ، قائلاً :

- وماذا عن الطاقة الكهربائية ؟

شحب وجه الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

- هن .. هل تعتقد أنه يستطيع التوصل إلى هذا ؟

استدار (طارق) إلى الكمبيوتر ، قائلاً :

- من يدري ؟

وراحت أصابعه تعمل بسرعة على أزرار الكمبيوتر ،

والجميع يتطلعون إليه فى توتر ، حتى قال فى حق :

- يا إلهى ! هذا ممكن بالفعل .

ثم التفت إليهم ، مستطرداً فى الأفعال :

- ستكون كارثة حقيقية ، لو أنه توصل إلى هذه

الحقيقة .

غمغم (رمزى) فى شحوب :

- إلى هذا الحد ؟

تابع (طارق) ، فى كلمات سريعة مقوترة :

- صحيح أن خلاياه لا يمكنها احتمال الشحن لمرّة

ثانية بالطاقة النووية ، إلا أن التحورات التى أصابها ،
من جراء العقار (سترونجالين) ، والشحن بالطاقة
النووية للمرة الأولى ، جعلتها أضبه بطاريات قوية ،
من النوع القابل لإعادة شحنه بالكهرباء (*) . وهذا
يعنى أنه يمكنه إعادة شحنها بالطاقة الكهربائية
العادية ، كلما تضايت منها الطاقة ، أو احتاجت إلى
إعادة تجديد .

سأنته (نشوى) فى توتر بالغ :

- هل تعنى أن يمكنه استعادة طاقته بسرعة ؟

أجابها (طارق) :

- ليس هذا فحسب ، وإنما يمكنه استعادتها من أى

مصدر كهربى بسيط أيضاً .

ثم اعتدل ، مستطرداً :

- وهذا يعنى أنه الآن مستيقظ ، ومشحون بطاقة

هائلة .

ومال إلى الأمام ، مضيفاً فى حسم :

- باختصار .. لقد صار أكثر قوة .. ووحشية .

(*) يتوافر هذا النوع من البطاريات فى الأسواق ، باسم

بطاريات (نيكل كادميوم) .

ومرة أخرى ، غمر المكان صمت مهيب رهيب ..
صمت حمل كل الانفعال ..
وقل الذعر ..

* * *

نوح الدكتور (ناظم) بيده في بطنه ، وهو يطلق
زفرة حارة ، من أصق أصق صدره ، قبل أن يقول :
- حمدا لله .. حالة (نور) الصحية تحسنت كثيرا ،
والأطباء يؤكدون أنه سيستعيد وعيه ، بين لحظة
وأخرى .

تهب القائد الأعلى بدوره ، قائلا :
- حمدا لله .

ثم تراجع في مقعده ، مضيفا :
- كنا سنخسر الكثير ، لو فقدنا هذا الشاب .
وافقه الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، قائلا :
- هذا صحيح .. مثله لا يسهل تعويضه أبدا .
تعمد القائد الأعلى :
- بالتاكيد .

ثم اعتدل يسأله في اهتمام :
- هل عثرت على معلومات جديدة ، بشأن ذلك
الشاب (طارق) ؟

جلس الدكتور (ناظم) على المقعد المقابل لمكتب
القائد الأعلى ، مجيبا :
- معلومة واحدة ، ربما كانت عديمة القيمة ، أو
بالغة الأهمية .. لست أدري .

سأله القائد الأعلى ، وقد تضاعف اهتمامه :
- وما هي ؟
أجاب الدكتور (ناظم) :
- لقد عرفت السبب الفعلي ، لفصله من الخدمة ،
في أمن الرئاسة .
بدا تسأل ملهوف ، في عيني القائد الأعلى ، فتابع
الدكتور (ناظم) :
- لقد استغل عمله ، لجمع معلومات بالغة السرية ،
حول خطة ارتياد الفضاء .
بدت دهشة واضحة على وجه القائد الأعلى ، وهو
يقول :

- خطة ارتياد الفضاء ؟ ولماذا يعنيه أمر كهذا ؟
هز الدكتور (ناظم) كتفيه ، وقال :
- لقد برز هذا في التحقيقات ، بأنه شديد الشك
وقاليع بالفضاء والكواكب والتجسيم ، منذ حدثته ،

وأكد أنه لم يطلع أى شخص آخر على تلك المعلومات ،
وتم تكن لديه أدنى نية قى أن يفعل .. ولقد تم
التحقيق فى الأمر فعلياً ، واستغرق هذا ما يقرب من
عام كامل . التضح بعده أنه جمع هذه المعلومات
لأغراض شخصية بالفعل ، وليس لأسباب أمنية أو
تجسسية ، لذا فقد اكتفى رؤساؤه بفصله من الخدمة
، ولكنهم لم يسجلوا ما حدث فى ملفه ؛ ولهذا لم يعثر
عليه رجائى . عندما أجروا تحريكاتهم بشأنه ، قبل
إلحاقه بالعمل هذا .

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، قبل أن يسأل
فى اهتمام مشوب بالقلق :

ـ وماذا لو أنه كرر هذا معنا ؟! أو لعله فعله
بالفعل ؟!

لوح الدكتور (ناظم) بسبابته نفيًا ، وهو يقول :
ـ كلا .. لم يفعل .. لقد تحققت من هذا بنفسى ،
وراجعت كل خطوة قام بها ، منذ التحق بالعمل معنا .
وصمت لحظة ، هزّ خلالها رأسه ، قبل أن يتابع :
ـ يبدو أنه قد استوعب جيدًا ذلك الدرس القاسى ،
الذى تسبب فى فصله من أمن الرئاسة .

تمت القائد الأعلى فى حذر :
ـ ربما .

وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، ليفرق فى أفكاره
بضع لحظات ، ثم يضيف فى حيرة واضحة :

ـ عجب أمر ذلك الشاب بالفعل يا دكتور (ناظم) !
إنه عبقرى ، لا يضارعه أحد فى مضماره . على
الرغم من سنوات عمره القليلة ، ولقد أثبت تفوقًا
ملحوظًا ، طوال فترة عمله معنا ، وخاصة فى مراحل
تطوير الوقود الأمنى ، والذى القتالى (م ف - ١٨) ،
وعندما التحق بفريق (نور) ، برزت من أعماقه
عشرات المواهب الأخرى ، فهو مقاتل بارع ،
ومخطط استراتيجى على أرفع مستوى ، وفدائى من
الطراز الأول ، وله موهبة قيادية ملحوظة .. ولكن
العجيب أن كل هذا محاط بغلاف غامض ، لا يمكنك
رفعه عن شخصيته قط ، حتى إنك تشعر بالقلق
تجاهه ، ولكنك تعجز عن الاستغناء عنه فى الوقت
ذاته .. يا للغرابة ؟!

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم قال الدكتور
(ناظم) فى خفوت :

- أعتقد أنك عاجز مثلى ، عن اتخاذ قرار حاسم بشأنه .. أليس كذلك ؟

أوما القائد الأعلى برأسه إيجابيا فى شرود ، واستغرق فى التفكير بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى حزم :

- ولكننى أعتقد أنه لا توجد ضرورة قصوى ، لاتخاذ قرار حاسم بشأنه ، فى الوقت الحالى .. إنه يبلى بلاءً حسنا فى هذه العملية ، ويمضى قدما على نحو مدبش ، وأعتقد أن براعته ومواهبه سيفطيان غياي (نور) ، فى هذه المرحلة الدقيقة .. فليواصل عمله إذن ، حتى يقضى على ذلك النووى ، أو ينجح فى إيقاف وإفساد حملته النووية الرهيبة ، التى يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده ، من الذى تستهدفه فى ضربته القادمة .

ثم تراجع فى مقعده ، متابعًا فى حزم أكثر :

- وبعد أن ينتهى هذا الأمر ، سيكون لى معه شأن آخر .

وافق الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، إلا أن ملامحه ظلت تحمل لمحة

من ذلك القلق ، الذى يفجّره سؤال يتروّد طوال الوقت فى رأسه ..

ما سر ذلك الغموض ، المحيط بشخصية (طارق) ؟ ولماذا يشعر حياله طوال الوقت بالحيرة ؟ وبالقلق !!

لماذا ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

* * *

انحرفت سيارة الشرطة فى اللحظة الأخيرة بصعوبة ، وتجاوزتها كرة النار بسنتيمترات قليلة .. ولكنها واصلت طريقها ، لترتطم بالمسيارة التى خلفها تماما ..

ودوى الانفجار ..

لم يكن انفجارا عاديا ، لو صيح القول .. وإنما كارثة ..

لقد انفجرت سيارة الشرطة ، بكل من فيها ، ووثبت مع الانفجار ثلاثة أمتار إلى أعلى ، قبل أن تهوى بكل ثقلها ونيرانها - على السيارة التى خلفها

تماماً ، فتفجرت بدورها بعنتهى العنف ، وتطايرت شظاياهما لتخترق ثلاث سيارات تالية ، وتناثر الوقود المشتعل منهما ، ليغمر مساحة واسعة من الأرض .. واضطربت قافلة السيارات كلها ، مع تلك الانفجارات العظيمة ، واختلت مساراتها فى ارتباك شديد ، قبل أن تتوقف ، ويقفز الرجال من سياراتهم ، مدافعهم الليزرية ودروعهم القوية ، للتصدى لذلك العدو الرهيب ..

أما السيارة ، التى تحمل (أكرم) والضابط ، وعدداً من الجنود ، فقد أدى انفجارها المباغت إلى اندفاعها وسط الأطلال ، فارتطمت بقطع الصخور الضخمة ، وحاول سائقها السيطرة عليها عبثاً ، إلا أنها لم تلبث أن انقضت فى عنف ، وتدهجرت بشدة وسط الصخور ، قبل أن تتوقف ، تشتعل فيها النيران ..

وفى نفس اللحظة ، التى دفع (أكرم) جسده فيها ، خارج السيارة المشتعلة ، وراح يجذب الضابط منها ، كان النووى يطلق نحو الرجال كراته النارية الذاتية ، التى انفجرت فى صدر أحد الجنود ، واقتلعت من مكانه ، ليرتطم برقاقة فى قوة ، وتنتقل النيران من جسده إليهم ..

وأطلق الجنود مدافعهم نحو العدو فى توتر بالغ .. وذابت الطلقات كلها على الغلاف الواقى المحيط به . وأطلق النووى صرخات غاضبة مجنونة ، وهو يطلق نحوهم كراته النارية ..

وسمع (أكرم) الانفجارات تدوى فى كل مكان ، وهو يبعد الضابط عن السيارة ، التى لقى كل من تبقى فيها مصرعه ، فغمغم فى حلق مرير :

- اللعة ! لقد أخبرونا أننا سنجده نائماً ، وها هو ذا مستيقظ للغاية ، وقد تحول إلى وحش كاسر ..

أسند الضابط الفاقد الوعى إلى أحد الجدران المتهللة ، وانتزع مسدسه من حزامه ، وتحرك على أطراف أصابعه ، نحو منطقة الصراع .. وهناك اتسعت عيناه فى ارتياح ..

كانت جثث القتلى والمصابين تغطى تلك البقعة من الأطلال ، والنيران تشتعل فى كل مكان ، وتندفع حتى فى أجساد بعض رجال الشرطة ، الذين يهدون فى كل مكان ، وهم يطلقون صرخات الألم والأعر ، فى حين واصل من تبقى منهم القتال فى يأس ، وراحوا يطلقون نيران وأشعة مدافعهم نحو النووى ،

الذى انطلقت كراته النارية تسحقهم واحداً بعد الآخر .
ولم يدرك (أكرم) ما الذى يمكن أن يفعله ، فى
موقف كهذا ، إلا أنه لم يستطع الوقوف ساكناً ،
والرجال يقاتلون بهذه البسالة ، فوثب عبر جزء من
جانب قديم ، وهتف ، وهو يطلق رصاصات مندهسه
نحو الشاب :

- مت أيها الوغد .. مت ..

كان وثاقاً من إجادته للتصويب ، إلا أن رصاصاته
لم تبلغ النوى قط ..

لقد ارتطمت بدرعته الكهرومغناطيسى الواقى ،
وانحرفت عنه فى عنف ..

والثقت إليه الشاب بنظرة غاضبة ..

وانطلقت منه صرخة مخيفة ..

مع كرة من النار ..

وفى نفس اللحظة ، وثب (أكرم) مبتعداً ..

ودوى الانفجار من خلفه فى عنف ..

وانتزعه من مكانه ، وطار به لسته أمتار كاملة

فى الهواء ، قبل أن يسقط فى عنف وسط الأطلال ..

وعلى الرغم من عنف السقوط ، ومن عشرات



وانتزعه من مكانه ، وطار به لسته أمتار كاملة فى الهواء .
قبل أن يسقط فى عنف وسط الأطلال

الإصابات والسحجات والكدمات ، التي أصابت جسده ،
 في كل موضع تقريباً ، إلا أنه لم يكد يسقط ، حتى
 وثب واقفاً على قدميه ، وأطلق يده مبهتداً ..
 وبوئية مرنة مذهشة ، عبر جداراً متهتماً ، و ...
 وفي نفس اللحظة تقريباً ، أطلق النووى نحوه
 كرتة النارية الجديدة ..
 وأصابت الكرة الجدار ، الذي عبره (أكرم) على
 الفور ..
 ودوى انفجار جديد ..
 وانهار الجدار كله ..
 وتأثقت عينا النووى ببريق مخيف ، أضاء المكان
 كله ، وهو يتطلع في ظفر إلى جسد (أكرم) ، الذي
 بدا جزء منه تحت الجدار المنهار ، ثم رفع قبضته ،
 ليطلق نحوه كرة نارية أخرى ..
 ولكن رجال الشرطة اليواصل شنوا هجوماً جديداً ..
 وفي هذه المرة ، من ثلاث محاور مختلفة ..
 كانت مناورة قوية بالفعل ، فلقد انتهات عليه
 نيرانهم ، من ثلاثة مواضع مختلفة ، على نحو يكفى
 لنسف أى خصم ..

فيما عدا هو ..
 لقد استوعب غلافه الواقى الهجوم جيداً ، فلم تبغته
 أية رصاصات ، ولم ينفذ إليه خيط ليزرى واحد ..
 ولهذا فقد استدار إلى مهاجميه ، والغضب يشتعل
 في كل خلية من خلاياه ..
 وأطلق كراته النارية ..
 ومرة أخرى ، انطلقت صرخات الرجال ..
 لم تصمهم دروعهم الواقية ، أو خوذاتهم الدائنة ..
 لقد نسفتها كراته النارية نفساً ..
 وقضت عليهم في عنف مخيف ..
 وطارت الأجساد المشتعلة في كل مكان ..
 وأزهقت عشرات الأرواح في دقائق معدودة ..
 وسالت أنهار من الدم ..
 ثم توقف كل شيء ..
 وبرقت عينا النووى مرة أخرى ، ببريق أشد
 سطوحاً هذه المرة ، وهو يقف وسط المذبحة ، التي
 اقترفت بها يداه ..
 والعجيب أنه كان يشعر بالزهو والفخر ..
 وإلى أقصى حد ..

وفى قصة نشوئته ، راح عقله يسترجع أحداث
الساعات الأخيرة ..

لقد عاد إلى وكره ، والدماغ تنزف من موضع
الرصاصات ، التى أصابه بها (أكرم) ..
كان يحمل كميات الطعام ، التى استولى عليها من
المتجر ، وقدرًا هائلًا من الغضب والثورة فى
أعماقه ..

ولكنه لم يكد يذلف إلى وكره ، حتى أشبه إلى
ظاهرة مذهشة ..

لقد بدأ جسده بلفظ تلك الرصاصات ..
خلالها الخارقة رفضت وجود أى جسم غريب
داخلها ، فألقت الرصاصات خارجها ..
وسقطت الرصاصات عند قدميه ..
وكان لصوت ارتطامها بالأرض رنين جميل ..
رنين التنصر ..

وتألفت عيانه فى نشوة ، وهو ينقض على الطعام ،
ويلتهمه فى شراهة تفوق شراهة جواد جائع ..
وتم يكد ينتهي من وجهته الضخمة ، حتى راودته
تلك الرغبة العارمة فى النوم ..

ولكنه قاومها بشدة هذه المرة ..

كان يحتاج إلى معرفة ما فعلته به الرصاصات ..
وبسرعة ..

وعلى الرغم من الدور الذى أحاط برأسه ، جنس
أمام جهاز الفحص ، وراح يوصل الأسلاك بجسده ،
و ...

ودون أن يدري ، انتزع أحد الأسلاك فى عنف ..
وتلامس جسده مع سلك كهربى عار ..
وشعر بالتيار الكهربى يسرى فى جسده ..
وفى عروقه ..
وخلأياه ..

وتلاشى الدور على الفور ..
ودب فى جسده نشاط مباغت ..
وتألفت عيانه فى قوة ..

ترى ما الذى فعلته به الكهرباء ؟

أية قوة تلك ، التى سرت فجأة فى عروقه ؟

وفى لهفة ، أمسك الجزء العارى من السلك
الكهربى ، ودفعه فى جسده ..

وتطلقت من حلقه صرخة قوية ..

صرخة ظافرة منتشية ..

وتذبذبت مصابيح الحجرة ، عندما راح جسده يلتهم
الطاقة الكهربائية ، في نهم وشراهة مخيفين ..
بل وتذبذبت كل مصابيح (القاهرة) الجديدة
وضواحيها ..

وبرقت عيناه على نحو مخيف ..

وأضاعت الحجرة كلها بوميض قوى ..
للغاية ..

وفي قمة نشوته ، وشعوره بالتفوق والظفر ، غادر
النوى مكانه ، وخرج يهدف إلى الضحية التالية ،
في حملته الثأرية الوحشية ..
ولكنه وجد سيارات الشرطة في مواجهته ..
وكان ما كان ..

تألفت عيناه أكثر وأكثر ، عندما استعاد تلك الذكرى
الغريبة ، وأدار عينيه فيما حوله ، وكأنما يستمع
بمرأى حمام الدم ، الذى غاص فيه حتى عنقه ، قبل
أن يطلق زمجرة وحشية ، ويقامر الأطلال ، فى
طريقه لاقتصاص روح ضحية جديدة ..
وبينما راح شبحه يختفى ، وسط الظلام والأطلال ،

ندت من أسفل الجدار المنهار أمة ألم ، وتحركت
أصابع (أكرم) فى صعوبة ، ثم لم تلبث بداه أن
جاهدتا ، لتبعدا عنه تلك الأحجار المحطمة ، قبل أن
يبرز رأسه من تحتها ، وهو يتمتم :

- رباه ! إننى حى .. لقد استثنيتنى مرة أخرى من

عالم الموتى .. إننى حى !

كان يشعر بمزيج من الفرح والدهشة : لنجاته من
موقف عنيف كهذا ، لذا فقد أخذ يرفع الأحجار
الصغيرة عن جسده ، غير مبال بالدماء ، التى تغرق
من عشرات المواضع به ، ولكنه لم يكد ينهض ،
ويلقى نظرة على ما حوله ، حتى سرت فى جسده
قشعريرة باردة ، وهو يهتف :

- رباه ! لقد قتلهم جميعا ..

قفز شعور بالغثيان إلى حلقه ، فالتفت بفرغ
ما بجوفه وسط الأطلال ، وهو يهتف :

- الوغد الحقير .. الوحش الأمنى .. يا للبشاعة !
يا للبشاعة !

تحركت آلام عنيفة فى معدته ، جعلته يتعد عن
المكان فى خطوات سريعة ، وهو يردد :

.. لقد صدق (رمزي) .. إنه مجنون حقيقي ..
 مجنون بشع .. من غير مجنون مثله ، يمكن أن يفعل
 كل هذا ، دون أن يظرف له جفن ١٩ من ١٩
 فجأة ، ومع آخر حرفا نطق به ، أصبح ذلك
 النيص من الضوء ..
 وتعلق به بصره ..
 وكيانه كله ..
 وفي دهشة بالغة ، غمغم :

.. عجباً ! المفترض ألا يصل التيار الكهربى إلى
 هنا ..

تحسّس حزامه ، بحثاً عن مسدسه ، ولكن
 المسدس لم يكن هناك ، فعاد يبحث عنه عند الجدار
 المتهلّم ، حتى عثر عليه ، فغمغم فى ارتياح :
 .. حمداً لله .. إبنى أفنّك كثيراً يا صديقى ..
 قالها ، وأمسك مسدسه فى قوة ، وتحرك فى حذر ،
 نحو مصدر الضوء ، ولم يكذّ بيلغه ، حتى تسارعت
 دقات قلبه ، وهو يغمغم :

.. ريباً ! أمن الممكن أن ...

تعتقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلع إلى جزء من

الجدار ، برز إلى الخارج ، وظهر الضوء من خلفه ،
 ثم حسم أمره ، وقال :

.. فليكن .. (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) (*) .
 ثم رفع تلك الجزء من الجدار ، وغير الفجوة
 الناشئة بفجرة واحدة ، وهو يشهر مسدسه ، و ...
 واتسعت عيناه عن آخرهما ..

وخفق قلبه فى عنف ، حتى نادى بطلب من بين
 ضلوعه ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، فى دهشة
 والتفعل ..

لقد عثر على وكر العدو الخارق ..
 وعلى مخزن أسرار ..
 كل أسرار ..

* * *

« اعتقد أننى نجحت يا رفاق .. »

نطقت (نشوى) العبارة فى افعال واضح ، جعل
 الجميع ينتفضون إليها فى افعال ، وسألها (طارق)
 فى لهفة :

(*) الآية رقم (٥١) . من سورة التوبة (القرآن الكريم) :
 بسم الله الرحمن الرحيم : (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)
 صدق الله العظيم .

- هل فعلت حقاً ؟!

وراح يدفع قدمه المصابة أمامه ، ليصل إلى موقعها ، وسبقه (رمزي) والدكتور (حجازي) إليه ، والأول يسألها :

- هل يمكنك تحريك صورته الآن ؟

أجابته ، وهي تضغط أحد الأزرار :

- بالتأكيد .

تعلق بصر الجميع بالشاهد على الشاشة ، وخففت قلوبهم في قوة ، عندما دارت زاوية الرؤية ، لتواجه النوى ، وهو يتحدث إلى مدير المخابرات ..
وهو اتفاق مسبق ، وعنى نحو تلقائي ، تطلع الجميع إلى عينيه ..
وارتجفوا ..

كان الشر والفضيب يطلان منهما مجتمين ، وهو يحدث في ضحيته ..

وكانت شفتاه تتحركان بحديث صامت ..
وانتقلت عيون الجميع إلى الشفتين ..
وفي توتر بالغ ، قالت (نشوى) :

- يمكنني الآن أن أضيف برنامجاً لحركات الشفاة ، و ...

قاطعها (طارق) :

- لا داعي .. إنه يخبره أن ما يفعله به هو انتقام منه ، بسبب قضية (سالم عمران) .
التفت إليه الجميع في دهشة ، فعهّد حاجبيه ، مغفماً :

- كان أحد أقرب أصدقائي أياكم أصم ، ولقد اعتدت قراءة حركات الشفاة منذ صباي .

تبادل ثلاثتهم نظرات صامتة ، قبل أن يفهم الدكتور (حجازي) :

- لديك لكل تساؤل جواب .

لماذا اعتقاد حاجبي (طارق) ، وهو يقول :

- ليس هذا هو المهم الآن .. المهم أن لدينا اسم الشخص ، الذي يثار النوى له ، وهذا ما كنا نحتاج إليه منذ البداية .

قالت (نشوى) في حماس :

- صدقت .

وبسرعة ، انطلقت أصابعها على أزرار الكمبيوتر ، تستدعي ملف قضية (سالم عمران) ، وظهرت البيانات على الشاشة في لحظات ، فطالعها الجميع في

لهفة ، وقال الدكتور (حجازي) في الفعل جارف ،
ثم استطع كتمته :

- ها هي ذي .. إنه جاسوس تم إلقاء القبض عليه ،
في أوائل ثمانينات القرن العشرين ، في أثناء عمله
لحساب (إسرائيل) ، ولقد حوكم ، وصدر ضده حكم
بالإعدام ؛ لأنه قتل اثنين من حراس أحد المباني
العسكرية ، ليسرق مخطوطات باللغة السرية ..
انظروا .. ها هي ذي أسماء المشاركين في القضية ..
ضابط المخابرات ، الذي أصبح فيما بعد مديراً
للمخابرات العامة ، ووكيل النائب العام ، الذي صار
نائباً عاماً ، في أواخر التسعينات ، وضابط مباحث
أمن الدولة ، الذي احتل فيما بعد منصب وزير
الداخلية ، ثم المدعى العام العسكري ، الذي يتبوأ
الآن منصب قائد الجيوش المشتركة .

هتفت (نشوى) :

- رباه ! إذن فهذا هو ضحيته التالية .

أسك (طارق) يدها بقية في قوة ، وهو يشير
إلى الشاشة ، قائلاً في الفعل شديد ، ثم يتصرف به
قط من قبل :

- إنكم لم تقرأوا بعد اسم الشاهد الأول في القضية .
انتقلت عيونهم جميعاً إلى الاسم ، الذي يشير إليه
(طارق) ..

ثم انتفضت قلوبهم كلها في عنف ..
فالشاهد الأول في قضية (سالم عمران) ، والذي
أدت شهادته إلى إدانة المتهم ، والحكم بإعدامه ،
يحتل في الوقت الحالي ، أرفع منصب في الدولة كلها ..
منصب الرئيس ..
رئيس الجمهورية ..
شخصياً ..

* * *



٥ - الضربة ..

الجمعة : الحادي عشر من مايو .. الثامنة مساء .
على الرغم من الهدوء الشديد ، الذي ساد منطقة
القبيلات العسكرية ، عند أطراف (القاهرة) الجديدة ،
كان رجال الحراسة ، المحيطون بفيلا وزير الدفاع ،
يشعرون في أعصابهم بتوتر بالغ ، جعلهم يقبضون
على مدافعهم في قوة طوال الوقت ، ويتلفتون حولهم
في شىء من العصبية ، وكلهم تأهب وتحفز :
لمواجهة أى هجوم مباغت أو خاطف ، بعد الأوامر
المشددة التي تلقوها ، والتحذيرات الصارمة الحازمة ،
بالإضافة إلى ما بنفهم حول سلسلة الاغتيالات العنيفة ،
خلال الساعات الأخيرة ، وأسماء المسؤولين ، الذين
لقوا مصرعهم ، على نحو بالغ العنف والوحشية ،
مع أطقم حراستهم ، التي لم يمكنها الصمود ، أمام
عدو خارق مجهول ، لا يعرف شفقة أو رحمة ، أو
هوانة ..

وفي عصبية متحوقة ، سأل أحدهم زميله ، وهو
يشير إلى ساعته :

- عجباً ! إنها لا تزال الثامنة ! ألا تشعر بأن الوقت
يسير في ببطء الليلة ؟

تتم زميله ، وهو يتلفت حوله في توتر :

- هذا أمر طبيعي .

تنهّد الأول ، قائلاً :

- هل تعتقد أن ذلك السفاح سيواصل ضرباته الليلة ؟

هز زميله رأسه نفياً ، وقال :

- لا أحد يدري .. إنهم يقولون : إن تحركاته سريعة

للغاية ، وإنه يوجه ضربته لعدد من المسؤولين

السابقين والحاليين ، على نحو عشوائي ، يصعب

معه استنتاج موضع ضربته التالية .

وافقه الأول بإيماءة من رأسه ، وأضاف ، وهو

يتلفت حوله في توتر :

- لهذا صدرت الأوامر بمضاعفة وتشديد الحراسة ،

بالنسبة لجميع المسؤولين ، سواء السابقين أو الحاليين .

ثم عاد يسأل زميله في قلق :

- ولكن هل تعتقد أن هذا يكفي ؟

مط زميله شفقتيه . وأجاب :

- لمست أحدى .. الصورة التي نقلها إلينا الزملاء .
في الإدارة العسكرية ، توحى بأنه ما من وسيلة
لمواجهته ، وأن كل أسلحتهم لا تؤثر فيه ، ولا ...
قاطعه زميله ، وهو يتراجع ، هاتفاً :
- رباه !

وقبل أن يلتفت إلى حيث يحدث زميله ، دوى
الانفجار ..

النفجار عنيف للغاية ، أطاح بنصف سور الفيلا
الأسير دفعة واحدة ، ولوتجت له المنطقة كلها ، على
نحو لم يشهده أى من العسكريين المقيمين فيها ، منذ
انتهت حرب التحرير ..

ومع الانفجار ،لقى ثلاثة من رجال الحراسة
مصرعهم ، في حين تحرك الباقون في سرعة ،
لحماية وزير الدفاع ، والدود عنه ..
ولكن النووى القضى كالعاصفة ..

عاصفة نووية عاتية ، هبت في وجوههم ، على
هيئة سيل من الكرات النارية ، راحت تنفجر يمينا
ويساراً ، وتقتلع الرجال ، واحداً بعد الآخر ..

كان من الواضح أن قوة النووى قد تضاعفت
مرتين على الأقل ..

وأنه صار أكثر قوة ..
وشراسة ..
وجنونا ..

وعلى الرغم من وجود خطة متكاملة ، لإفزاز وزير
الدفاع ، في حالة حدوث هجوم مباغت ، إلا أننا
لا نستطيع أن نعلم طاقم أمنه قط ، فقد كان النووى
يتحرك بسرعة مذهلة ، وعلى نحو يستحيل أن تصمد
أمامه أية قوة ..
أو أية إجراءات أمنية ..
مهما كانت ..

لقد نسف الأسوار ، وسحق كل من اعترض
طريقه ، ودمر جدران الفيلا ، واقتحمها في عنف ،
وأطلق كراته النارية على كل رجال الأمن والحراسة
داخلها ..

وكل هذا خلال عشر ثوان فحسب ..
والواقع ، الذي لا يمكن أن يختلف عليه اثنان ، هو
أن الرجال قد قاتلوا وحاربوا في استماتة ، وأن

الفريق المسئول عن الحماية الشخصية للوزير : كان
على أرفع مستوى ، من التدريب والكفاءة والقدرة ..
ولكن ماذا يمكن أن يفعل كل هذا ، في مواجهة
(عصار نووى مدمر كهذا ؟!

لقد انهارت أمامه الجدران ، والقدرات ، ووسائل
الدفاع ، والقتال ، والحماية ..

ودون الدخول في تفاصيل بشعة مؤلمة ، يكفي أن
نقول : إن الأمر قد انتهى على النحو نفسه ، الذي
انتهى إليه ، عند منزل مدير المخابرات العامة ..

الجميع لقوا مصرعهم ، فيما عدا الوزير ، الذي
حرص النووى على الإبقاء عليه حياً ، لينتزع من
معدنه بمنتهى القسوة ، ويتطلع بنظرة نارية ملتهبة ،
إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

- أراهن على أنك - وعلى الرغم من كل ما حدث -
مازلت تجهل لماذا اخترتك بالذات ، من دون الآخرين !
أجابه الوزير في صرامة ، على الرغم من ثقته من
نهايته المحتومة :

- ربما لأنك وغد قذر ، يرغب في استعراض عضلاته
وقدراته ، بعدد من المذابح الوحشية ، التي جعلته

يحتل مكانة أدنى من أحقر حيوانات الأرض .

أضاعت عيناً النووى ، وهو يقول :

- خطأ يا رجل .. إجابة خاطئة ، تستحق ما سافعه
بك بعد قليل .

أغلق وزير الدفاع عينيه ، أمام ذلك الضوء المبهر .
المطل من عيني خصمه ، الذي مال نحوه أكثر ، وهو
يقول في لهجة مخيفة :

- إنك تموت من أجل ما فعلته في قضية (عسران) .
قال الوزير في توتر :

- (عسران) ؟ (عسران) من ؟

قال النووى في غضب :

- هل نسيت يا رجل ؟! هل نسيت تاريخك ؟! هل ضاع
من ذاكرتك اسم (سالم عسران) ، الذي لم تقرر في
إعدامه ؟!

هتف الوزير في التفعال :

- آه .. (سالم عسران) .. ذلك الجاسوس .. إننى
أذكره بالطبع .. لقد نال ما يستحقه يا هذا ، خيانة
الوطن لا تستحق سوى الموت ، وبلا أدنى رحمة .

صرخ النووى في غضب :

الموت ؟! بهذه البساطة ؟! أمدا ما كنتم تدخرونه
له ؟!

أجاب الوزير في صرامة ، وهو يشرح بوجهه ،
متجنباً الضوء الساطع :

.. بل هذا ما اختره لنفسه يا هذا .. لقد خان الوطن ،
والموت جزاء من يفعل هذا .

برقت عينا النووى أكثر ، وهو يقول :
.. والموت جزاء من ألقى به إلى الموت .. عين
بعين .

صاح به الوزير :

.. لا تخدع نفسك بعبارات برافعة أيها المجرم ..
ما قلته قول حق ، يراد به باطل .. العين لا تؤخذ
بالعين ، إلا من قبل أولى الأمر ، وبناء على تحقيقات
وأحكام عادلة . وعندما أعدمنا ذلك الجاسوس
الحقير ، كنا نطبق بالفعل مبدأ العين بالعين .. هو قتل
الحارسين ، ونحن قتلناه .

ثم تعتقد حاجباً في صرامة ، مستطرداً :
.. ولو ألقى لموت ، ثمنا لواجب أدبه ، بعقل وضمير
راضين ، فمرحباً بالموت .

ثم مزق قميصه عند الصدر ، هاتفاً :
.. هيا .. خذ حياتي ثمنا لواجبي .

جن جنون النووى ، إزاء ذلك الموقف الصاوم
للوزير ، فصرخ بكل غضب الدنيا :

.. مادمت تشتكى الموت ، فلها هو ذا .

وانقض عتبة يمزقه في وحشية ، صارخاً :

.. مت من أجل (عصران) .. مت من أجل ما فعلته به .

كان الجنون يصرخ ويعربد في عينيه ، ويتراقص
في ملامحه مع كل شياطين الشهيم ، والزبد يتساقط
من بين شفتيه ، كما لو أنه قد صار بالفعل وحشاً
ضارياً مسعوراً ..

وتلاطرت الدماء في كل مكان ، وأحاطت به في
دائرة واسعة ، وعيناه تومضان ..

وتومضان ..

وتومضان ..

كانت النيران تشتعل في أعصابه ، وثورة الغضب
تكاد تحصف بكياته ، على الرغم من نجاحه في تمزيق
ضحيتة الرابعة ..

بسالة وزير الدفاع وشجاعته ، جعلناه يفقد لذة
اقتصاره ..

وبدلاً من أن يشعر بالظفر ، راحت أعماقه تحترق
بالغيط ..

وأطلق النووى صرخة ثانية ..
وثالثة ..

ورابعة ..

ثم رن أنسلء الوزير الشهيد فى حلق ، قبل أن
يتجه فى خطوات واسعة سريعة نحو الفيلا ..

وبكل غضبه وثورته ، راح يبحث عن مصدر
لنظافة الكهربائية ، ولم يجد يجده . حتى اقتزع أزراره
من الجدار ، وهو يقول :

.. كلهم سيموتون .. كلهم سيدفعون الثمن .. كلهم ..

وبمقنسى العنف ، اقتزع الأسلاك الكهربائية من
الجدار ، ودفعها فى جسده ..

وبرقت عيناه فى قوة ..

وصرة أخرى ، تذبذبت المصابيح ، فى (القاهرة)

الجديدة كلها ..

وتدفقت فى جسده طاقة هائلة ..

طاقة تكفى لإعادة شحن خلاياه بالطاقة ..

وتمنحه ضعف قواه السابقة ..

وربما أكثر ..

ولدقيقة كاملة ، ظلت الطاقة الكهربائية تنساب من
الأسلاك إلى جسده وعروقه وخلاياه ، حتى شعر بقوة
هائلة فى كيانته ، فألقى الأسلاك ، وأطلق ضحكة
ظافرة قوية مزهوة ، قبل أن يضم قبضته ، ويرفعها
إلى وجهه ، قائلاً :

.. الآن تم أعد بحاجة إلى ذلك النوم العميق .. ها هى

دى خلاياى تعود شحن نفسها بالطاقة الكهربائية ..

بدا من بعيد نوى أبواق سيارات الأمن والإطفاء ،

التي تهرع إلى المكان ، ولكنه لم يبال بها . وهو يدير

عينيه المتألفتين فى المكان ، قبل أن يفهم :

.. ليم الانتظار إذن ؟!

وقى زهو ، راح يتحرك نحو مدخل المكان ،

وغلاف الإخفاء يحيطه تدريجياً ، حتى تلاشى تماماً ،

وهو يغادر المكان كله ، متجاوزاً سيارات الأمن ،

ومتجهاً مباشرة نحو هدفه الأخير ..

نحو الرئيس ..

رئيس الجمهورية ..

★ ★ ★

لدقيقة كاملة تقريباً ، وقف (أكرم) مبهوراً ،
داخل وكر النووى ، يدير عينيه فيما حوله ، منشغلاً
عن الألم إصاباته المتعددة ، وعن الدماء التى تسيل
من كل مكان بجسده تقريباً ، ثم لم يثبت أن هتف فى
الفعال شديد :

- رباه ! إنه ليس مجرد وكر عادى ، إنه مركز
قيادة متقدم .

ثم رفع ساعته إلى شفتيه ، وضغط زر الاتصال
فيها ، وهو يقول :

- من (أكرم) إلى الفريق ... لن يمتنع أن
تتصوروا أين أقف الآن يا رفاق .

أباه صوت (نشوى) وهى تهتف فى لهفة :

- (أكرم) .. أين أنت ؟! لقد بلغتنا أخبار هجوم
ذلك النووى على قاعدة الشرطة .. لقد خشنا أن ...

قاطعها فى حزم :

- ليس بهذه السهولة يا صغيرتى .. لن ينال منى

ذلك النوع . قبل أن أغرق رأسه فى بحور الدماء
التي أراقها .

أباحت صوت (طارق) ، عبر الساعة ، وهو يسأل
فى اهتمام :



ثم رفع ساعته إلى شفتيه ، وضغط زر الاتصال فيها ، وهو يقول
- من (أكرم) إلى الفريق ؟

- أين ذهب ، بعد مذبحه الشرطة يا (أكرم) ؟

أجابه (أكرم) بنقاد صير :

- لست أدرى يا (طارق) .. لقد ارتكب فعلته
القترة ، واتصرف فحسب .. ولكن المهم ما توصلت
إليه أنا وسط الأطلال .

هتف (طارق) فى حماس :

- لا تقل لى إنه ..

قاطعه (أكرم) فى حماس أكبر :

- وكره .. نعم يا صديقى .. أنا أقف الآن وسط
وكر ذلك الوغد .

جأويه صمت مطبق ، استمر لادقيقة كاملة تقريباً ،
حتى إنه سأل فى توتر :

- (طارق) .. هل تسمعى ؟

أناه صوته هادئاً تلغاية ، على نحو مثير للدهشة ،
وهو يسأله :

- صف لى ما تراه يا (أكرم) ،

لم يتوقف (أكرم) طويلاً ، أمام ذلك التفسير
المفاجئ ، وعانما اعناد تلك الطبيعة المتقلبة لعضو
الفريق الجديد ، وإنما راح يصف المكان المحيط به

بمنتهى الدقة ، و (طارق) يستمع إليه فى اهتمام
بالغ ، مع (نشوى) والدكتور (حجازى) ، ولم يكمل
يصل إلى وصف أجهزة الكمبيوتر والفحص ، حتى
سألته (نشوى) فى لهفة :

- قل لى يا (أكرم) : هل يوجد وسيط هاتفى فى
الكمبيوتر (*) ؟

أشعل (أكرم) الكمبيوتر ، وهو يغمغم :

- لست أدرى .. أخشى أن يكون الجهاز مؤمناً بكلمة
سر أو ما شابه .

انتهى من عبارته ، وهو يتطلع إلى الشاشة فى
قلق ، ثم لم يلبث أن مض شفتيه فى أسف ، قائلاً فى حق :

- هناك كلمة سر بالفعل .

أجابه (نشوى) :

- لا بأس .. كنت أتوقع شيئاً كهذا .. اسمعنى جيداً
يا (أكرم) .. هل يمكنك أن توصل ساعتك بالكمبيوتر ؟

(*) الوسيط الهاتفى للكمبيوتر : أو (المودم) هو جهاز يتم
توصيله بجهاز الكمبيوتر ، داخلياً أو خارجياً ، بحيث يمكنه نقل
الرسائل والمعلومات عبر الهاتف ، بسرعات مختلفة ، طبقاً لنوعه
وتقاعته وثمنه .

أجابهـا في اقتضاب ، وهو يجتنب سلكاً دقيقاً من الساعة :

- بالتاكيد .

وفي سرعة ودقة ، راح يوصل السلك بالكمبيوتر ، وصوت (طارق) ينبعث من الساعة ، قائلاً في قلق :
- أسرع بالله عليك يا رجل .. ربما يعود ذلك الوغد في أية لحظة .

فجر ذلك القول كل القلق ، في أعصا (أكرم) ، ولكنه واصل عمله ، متمتماً :
- أعلم هذا .. أعلم هذا .

انتهى من توصيل الكمبيوتر بالأسلاك ، وقال :
- كل شيء تم على ما و ا م يا (نشوى) .

أجابه عبر جهاز الاتصال :
- عظيم .. سأوصل جهاز الكمبيوتر الخاص بي بجهازه ، عبر جهاز الاتصال في الساعة ، وسأستخدم برنامجاً جديداً لك الشفرة ، واتعلم ألا يكون قد استخدم كلمة سر معقدة كثيراً .

تطلع (أكرم) إلى منخل الوكر في قلق ، قائلاً :
- أما أنا ، فأتعلم أن ينتهي هذا ، قبل أن أجد ذلك الوغد أمامي هنا .

ثم تجبه (نشوى) هذه المرة ، فقد ظهرت أمامها شاشة كمبيوتر النوى ، في ركن شاشتها ، وبدأت تتعامل معها ببرنامجها الجديد في سرعة ، للتوصل إلى كلمة السر ..

وفي توتر ، راح (طارق) و (رمزي) والدكتور (حجازي) يراقبونها ، وقال الأخير :
- ينبغي أن نترك (نشوى) هذه المهمة الآن ، ونبلغ رئاسة الجمهورية بما توصلتنا إليه على الفور .. من الخطر أن تعلم أن رئيس الجمهورية هو الهدف التالي ، ثم لا نبلغه بهذا ، وبأقصى سرعة ممكنة .. التفت إليه (رمزي) ، قائلاً :

- أنت على حق .. لابد أن نبلغه بالأمر على الفور .
قالتا ، وهو ينهض إلى هاتف الفيديو ، ولكن قبل أن تبلغه أصابعه ، تطلق أزيزه بفتة ، حتى أن أصابعه ارتجفت في قوة . ثم اندفعت تضغط زر الاتصال ، فظهرت على الشاشة صورة الدكتور (ناظم) ، وهو يقول في انفعال :

- النوى ضرب ضربته الجديدة الآن .
خفقت قلوبهم في عنف ، وأطل الذعر من عيونهم ، قبل أن يهتف (رمزي) :

- سيدي .. هل نجح في ضريته هذه ؟

أجابته الدكتور (ناظم) في مراة :

- أجل ، للأسف .

شبهت (نشوى) في قوة ، وتبادل (طارق)

والدكتور (حجازى) نظرة مذعورة ، في حين هتف

(رمزى) في ارتياح :

- رباه ! الرئيس !

اتعقد حاجبا الدكتور (ناظم) في شدة ، وهو يقول :

- الرئيس ؟ ماذا تقصد ؟ لقد اغتال وزير الدفاع

منذ دقائق .

ردد (رمزى) في ذعر :

- وزير الدفاع ؟

وقال (طارق) في انفعال :

- لم يتبق سوى الرئيس إذن .

هتف الدكتور (ناظم) في عصبية :

- عم تتحدثون ؟ أن يخبرنى أحدكم بما لديكم ؟

أجابته (رمزى) على الفور :

- لقد توصلنا إلى القضية ، التى يسعى ذلك النووى

للتأثر من أجلها ، وحصرنا كل من يسعى خلفهم ،

وكان من بينهم اسم رئيس الجمهورية شخصياً .

امتقع وجه الدكتور (ناظم) في شدة ، وهو يهتف :

- رئيس الجمهورية ؟ يا إلهى ! هذا مستحيل !

أجابته (رمزى) في حزم :

- لا توجد مستحيلات الآن يا دكتور (ناظم) ..

إننا نتحدث عن وقائع .. تلك الشاب يسعى للانتقام ،

بسبب قضية جاسوس ، حوكم وأدين في ثمانينات

القرن العشرين ، بتهمة التخايير مع (إسرائيل) ،

وصدر الحكم بإعدامه حينذاك .. جاسوس اسمه (سالم

عصران) .

سأله الدكتور (ناظم) في توتر :

- وما صلة ذلك النووى بالجاسوس (سالم عصران)

هذا ؟

توقفت (نشوى) عن عملها ، وتبادلت مع (طارق)

والدكتور (حجازى) نظرة متوترة ، في نفس اللحظة ،

التى أجاب فيها (رمزى) ، سؤال الدكتور (ناظم) ،

قائلا :

- ثم نتوصل إلى تلك الصلة بعد ، ولكننا نيقنا من

أنها القضية ، التى يسعى خلفها ، وبناء على هذا ،

فضحيته التالية هي رئيس الجمهورية نفسه .

ثم مال نحو الهاتف ، متابعاً في حزم :

- اسمعني جيداً يا دكتور (ناظم) .. لابد من إبلاغ السيد رئيس الجمهورية على الفور ، والعمل على نقله ، بمنتهى التكتّم والسرية ، من مقر الرئاسة ، إلى مكان سرى مأمون .. وليكن أحد المخاضئ النووية مثلاً .

بدا التوتر والتردد على وجه الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، ثم قال في عصبية :

- الأمر ليس بهذه السهولة أيها السادة .. إنكم تتحدثون عن إجراء خاص برئيس الجمهورية شخصياً ، وهذا أمر يخضع لعشرات القواعد والتفاصيل الدقيقة والمعقدة ، فهناك ارتباطات والتزامات اجتماعية وسياسية ، و ...

قاطعه (رمزي) في حدة :

- فليذهب كل هذا إلى الجحيم يا رجل .. إننا نتحدث عن حياة رئيس الجمهورية وهذا أمر لا يخضع إلا لمبدأ واحد لا غير .. الحياة أو الموت .. فأيهما تختار؟ تردّد الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، ثم كرّر في خفوت :

- الأمر ليس بهذه البساطة .

احتقن وجه (رمزي) في غضب ، وانعقد حاجبها الدكتور (حجازي) في توتر بالغ ، في حين غمغم (طارق) :

- يا للسخافة !

ومطّت (نشوى) شفيتها ، وهي تواصل عملها في سرعة ، نكث شفرة الإبرخال ، في كمبيوتر النووى ..

وفي عصبية ، كاتر (رمزي) :

اسمعني جيداً يا دكتور (ناظم) ..

قاطعه الدكتور (ناظم) في عصبية :

- اسمعني أنت يا دكتور (رمزي) .. لقد قُسمت بالجزء الخاص بكم من الفصل ، وأبلغتمونا بالأمر ، وعطينا نحن القيام بالجزء الخاص بنا .. سأعهد بالأمر إلى أحد خيرانا ؛ لمراجعة كل ما يتعلق بقضية (سالم عمران) هذه ، وسيتّم كل هذا بأقصى سرعة ممكنة . وقبل أن يستيقظ ذلك النووى من سبات ما بعد المذايح ، سنكون قد حسّنا الأمر ، واتخذنا الإجراء المناسب .. انتهت المحادثة .

وانقطع الاتصال على الفور ، فعقد (رمزي) حاجبيه ، وقال في حق :

- مستحيل ! مستحيل أن يكون هذا هو أسلوب العمل ، في قضية كهذه !
تطلعت إليه (نشوى) لحظة ، ثم بدا عليها الغضب ، وهي تعاود عملها في سرعة ، في حين زفر الدكتور (حجازى) في توتر ، مغمغا :
- عجباً !!

أما (طارق) فبط شفتيه في زرداء ، والتفت إلى (نشوى) ، يسألها :
- هل توصلت إلى شيء ؟
أجابته في اهتمام :

- إنها شفرة إدخال محدودة ، وسأتمكن من تجاوزها خلال دقيقة واحدة ، بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

تطلع إليها (رمزى) لحظة ، قبل أن ينلق جسده على أقرب مقعد إليه ، ويداعب ذقنه بسببائه وببهاشه ، مستغرقاً في تفكير عميق ، في حين هفت (نشوى) :

- (أكرم) .. لقد توصلت إلى الشفرة .. سيتم فتح الكمبيوتر على الفور .

التقط (أكرم) عبارتها ، عبر جهاز الاتصال الدقيق في ساعته ، فتطلع في اهتمام إلى شاشة الكمبيوتر ، ورأى الجهاز يبدأ عمله بالفعل ، بعد أن تجاوزت (نشوى) شفرة الإذخال ، وعبرت كلمة السر ، فانزع منك الساعة من الكمبيوتر ، قائلاً :

- هذا ما حدث بالفعل .. وهو يحوى وسيطاً هاتفياً ، بسرعة مليون وحدة في الثانية الواحدة .. إنه أحد الأنواع المتطورة الحديثة (*) .

أجابته في اهتمام :
- عظيم .. استخدم ذلك الوسيط الهاتفى إذن ، وأطلب بوساطته رقم وسيطنا الهاتفى ، وأترك لى الأمر بعدها .
ألقى (أكرم) نظرة أخرى شديدة القلق ، على مدخل الوكر ، وهو ينفذ ما طلبته منه ، متوقفاً وصول ذلك النوى ، بين لحظة وأخرى ، وعندما انتهى من عمله ، سمع (نشوى) تقول ، عبر جهاز الاتصال في الساعة :

- عظيم .. جهازنا الآن على اتصال مباشر بجهاز د :

(*) تبلغ أقصى سرعة معروفة للوسيط الهاتفى - في الوقت الحالى ثلاث وثلاثون ألفاً وستة وحدة في الثانية .

وسأعمل على نقل كل بنك معلوماته إليها ، بأقصى سرعة ممكنة .

ظهرت على الشاشة علامة نقل المعلومات بالفعل ،
و (طارق) يقول :

- (أكرم) .. هيا .. غادر ذلك المكان على الفور
يا رجل .. لقد فعلت كل ما يمكنك فعله هناك .. أسرع
يا رجل ، قبل أن يعود ذلك الوغد ، ويطبق عليك في
وكره .

صمت (أكرم) لحظة ، ثم انعقد حاجباه في
صرامة ، وهو يقول :

- كلاً يا (طارق) .. لم ينته عملي هنا بعد .
ثم انزع قبلة شديدة التفجير من حزامه ،
مستطرداً في حزم :

- ما زالت لدى مهمة ، سبداً فور انتهاء (نشوى)
من عملها .

وضم شفتيه في قوة ، مضيفاً :

- مهمة مستشفى الكثير من غليلي .

ساد الصمت بضح لحظات ، في الجانب الآخر ، قبل
أن يأتي صوت (طارق) ، قائلاً :

- أعمل ما يروق لك يا رجل .

قالها (طارق) ، وأنهى الاتصال ، فتهنأ (أكرم)
في حرارة ، وأمسك فتيل القبلة ، قائلاً :

- نعم يا رجل .. سأفعل ما يروق لي ... بالنأكيد .
وبقلب يخفق في عنف ، تعلقت عيناه بشاشة
الكمبيوتر ، التي تعلن أن عملية نقل المعلومات
تمضى قدماً ..

وبمنتهى السرعة ..

أما في مقر الفريق ، فقد ساد صمت عجيب .
و (نشوى) تثقل ذلك الفيض من المعلومات ، من
كمبيوتر التنوير إلى كمبيوتر الفريق ، عبر الوسيط
الهاتفي المتقدم ، في حين غرق (رمزي) في لجة
عسيفة من الأفكار ..

كان يدير الأمر في رأسه مرات ومرات ..
ولم يكن يشعر بالارتياح قط ..

عقله ، وخبراته ، بالإضافة إلى شيء ما ، يكمن
في باطنه ، تتوالى فضول إضاءة لحظة واحدة ،

دون تحذير رئيس الجمهورية ..

ولكنه كان يحتاج إلى دليل ما ..

نقطة مضيئة . تجعله يستخرج ما بأعماقه .
ويطرحه على عقله الواعي ، ليدرك ما الذى يصيبه
بكل هذا التوتر ..
ولكن حاجزاً ما كان يعترض الطريق ، ما بين عقله
الباطن والواعي ..

وكان هذا يصيبه بتوتر بالغ ..
إنها أول مرة ، يواجه فيها أمراً كهذا .
أول مرة ، يعجز فيها عقله عن تحليل موقف ما ..
وهذا ما يقلقه ..
ويخيفه ..

ويملاً نفسه حنقاً وتوتراً ..
المفترض أنه الخبير النفسى للفريق ..
وها هو ذا يحتاج إلى خبير نفسى ..
يا للسخافة !..

صحيح إنه بشر ، وما من بشر كامل ..
فالكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده ..
ولكن الخبراء غير مسموح لهم بالخطأ أو التقاعس ..
قط ..

« لقد انتهيت من نقل كل بنك معلوماته إلينا .. »

قطعت (نشوى) سبل أفكاره ، وهى تنطق تلك
العبارة ، فالتفت إليها فى سرود ، وسمعها تسأل .
(طارق) فى قلق :

- ترى ما الذى سيفعله (أكرم) هناك ؟!

أجابها (طارق) بسرعة :

- سينصف الوكر بالتأكيد .

قالت فى دهشة :

- ولماذا يفعل ؟ هل جازف بحياته ، للقيام بأمر

يمكننا القيام به فيما بعد ؟!

هز (طارق) كتفيه ، قائلاً :

- ولماذا لا يقوم به الآن ؟! ما دامت الأمور تسير

على ما يرام ، فلماذا يضيع الوقت ؟! فليضرب

ضربته على الفور .

تسعت عيناً (رمزى) فى شدة ، عندما اختبرته

تلك العبارة الأخيرة أذنيه ، وشعر بأنها قد ارتطمت

بذلك الحاجز ، بين عقله . الباطن والواعي ، ونسفته

نسفاً ، على نحو جعله يفكر من مقعده ، هاتفياً :

- نعم .. مادامت الأمور تسير على ما يرام ، فلماذا

يضيع الوقت ؟!

انفتحت إليه الجميع في دهشة ، وغمغم (طارق) :
- ماذا حدث بالضبط ؟

ضغط (رمزي) أزرار هاتف الفيديو في لهفة ،
وهو يجيب :

- ذلك النورى لن ينتظر هذه المرة .. لقد وجد
الوسيلة لإعادة شحن خلاياه ، ولم يعد لديه صبر
لإضاعة لحظة واحدة .. لقد اغتال وزير الدفاع ،
وسينقل إلى الضربة التالية مباشرة .. إلى رئيس
الجمهورية ..

فيل أن يكتم الاتصال ، تذبذبت أضواء الحجرة بقعة
في شدة ، فتوقفت سيجارته ، ورفع عينيه إلى
المصابيح ، مغمضاً :

- يا إلهي ! إنه يعيد شحن جسده ثانية .
اتخذ حاجباً (طارق) في شدة ، واندفع فجأة نحو
(رمزي) ، وأمسك بمعصمه ، قائلاً في حزم :

- الاتصال لن يفيد الآن .

قال (رمزي) في عصبية :

- ماذا تفعل ؟

أجابته بسرعة :

- ليس لدينا ما يكفي من الوقت . للدخول في
مناورات سياسية وروتينية ، أو حتى في مناخنة حول
القواعد التي ينبغي اتخاذها ، لتحذير رئيس
الجمهورية من خطر داهم كهذا .. لقد بدأ ذلك الوقت
تحركه ، ولابد من اتخاذ طريق سريع وحاسم .

سأله (رمزي) في توتر بالغ :

- مثل ماذا :

- نطلع إليه (طارق) لحظة في صمت ، ثم انفتحت
إلى (نشوى) ، وسألها :

- هل يمكنك التسلل إلى كمبيوتر أمن الرئاسة ؟

اتخذ حاجباً (نشوى) ، وهي تقول :

- لن يكون هذا بالأمر السهل ، فهم يستخدمون

شفرة شديدة التعقيد ، و ...

قاطعها في حزم :

- لدى تلك الشفرة .

تفجرت الدهشة في وجوههم جميعاً ، فحدقوا فيه

على نحو جعله يقول في توتر :

- سأشرح لكم فيما بعد كيف حصلت عليها .

ثم شد قامته ، متابعاً :

- المهم الآن أن نتجس في التسلل إلى الكمبيوتر .
دون أن يكشف أمن الرئاسة هذا .

غمضت في حذر :

- مع وجود شقرة الإلخال ، لن يكون هذا عسيراً .
أشار بيده ، قائلاً :

- عظيم . ولكن الأمر لن يقتصر على الدخول إلى
كمبيوتر أمن الرئاسة فحسب ، ولكن سيكون عليك
تفصيل برنامج خاص داخله ، وبمنتهى السرعة .

غمضت :

- سأبذل قصارى جهدى .

بدا عليه الارتياح ، وهو يقول :

- فى هذه الحالة ، سأشرح لك خطتى .

وعندما بدأ الشرح ، تفتت به عيون الجميع فى
انبهار تام ..

فمرة أخرى ، أثبت (طاروق) عبقريته ، فى هذا
المضمار ..

لقد كانت فكرته جديدة ومبتكرة ، و ...
وحاسمة ..

وإلى أقصى حد .

★ ★ ★

٦ - الرئيس ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. التاسعة والرابع
مساءً .

« من وحدة المراقبة (م - ٣) إلى الوحدة الرئيسية ..
الساعة ألفين ومائة وخمسة عشر ، وكل شيء على
ما يرام .. »

ردّ رئيس وحدة المراقبة الثالثة العبارة ، وهو
يتطلع فى اهتمام إلى شاشات المراقبة ، التى تنقل
ما يدور حول مقر الرئاسة ، ثم أنهى الاتصال ، وفرك
عينيه فى قوة ، قيل أن يقول لمساعدته الأول :

- بانه من موقف ! الأوتار كلها مشدودة إلى
أقصى حد ، والجميع فى حالة قصوى من التوتر
والقلق .. إننى لم أشهد موقفاً كهذا قط ، منذ التحقت
بالعمل هنا .. يبدو أن ذلك الشخص يثير زعر الجميع
بالفعل .

هزّ مساعدته كتفيه ، وقال :

- لقد قرأت التقارير بنفسك ، ورأيت ما فعله
بالأخرين .

تتهد رئيس الوحدة ، وهو يقول :

- أنت على حق يا رجل .. أنا نفسي أشعر بالاذعر
من هذا الموقف ، وأتمنى لو أمكننا تجاوزه بأية
وسيلة كانت .

غمغم المساعد .

- المهم أن نتجاوزه في نجاح .

ابتسم رئيس الوحدة في عصبية ، قائلاً :

- وعلى قيد الحياة .

أراد المساعد أن يقول شيئاً ما ، إلا أن هذا لم يبدأ
لائقاً ، في مثل هذا الموقف ، فاحتفى بهزة رأس ،
قبل أن يعتد ساعديه أمام صدره ، ويواصل التطلع
إلى شاشات المراقبة ، و ...

وفجأة ، ظهرت بقعة حمراء كبيرة على الشاشة ،
واقطع أزيز قوي من الأجهزة ، التي راحت تسجل
مستويات عالية من الطاقة ، على نحو يفوق المعتاد ،
فقفز رئيس الوحدة من مقعده ، هاتفاً :

- رياه ! إنه هجوم ..

اتسعت عينا المساعد في توتر بالغ ، وهو يحدق
في بعض الأجهزة ، قبل أن يقول :

- ولكن أجهزة الفحص المباشر لا تسجل أية تغيرات .

حدق رئيس الوحدة مرة أخرى في الشاشة ، والبقعة

الحمراء المتحركة فوقها ، قبل أن يقول في حزم :

- لا يمكننا أن نخاطر يا رجل .. لا يمكننا أن نخاطر

قط .

قالها . وضغط زر الإنذار ، هاتفاً غير أجهزة

الاتصال :

- هنا وحدة المراقبة (م - ٣) .. أجهزتنا سجلت

هجوماً ، على الجانب الأيسر لمقر الرئاسة .. الساعة

ألفان ومائة وعشرون .. إنذار علم بالهجوم .

وقبل حتى أن تنتهي عبارته ، كان فريق حراسة

السيد رئيس الجمهورية قد بدأ عمله بالفعل ..

لقد أصاب خمسة منهم بالرئيس وزوجته ،

وأيسوهما زيين واقبين ، من طراز (م ف - ١٨) ،

ونقلوهما في سرعة إلى نفق سري ، في الطابق

الأول تحت الأرض ، في مقر الرئاسة ..

وفى الوقت ذاته ، حُلِّقَت أليفا ، وبوساطة أجهزة خاصة للتحكم عن بعد ، هليوكوبتر تحمل شعار رئاسة الجمهورية ، على نحو يوحي بأن الرئيس وزوجته قد استقلّاهما بالفعل ، وانطلقت سيارة الرئيس المصفحة الخاصة ، مبتعدة عن المقر ..

وبينما تتم تلك الخطوة الدخاعية المزدوجة ، كانت وسيلة نقل خاصة ، تنطلق بالرئيس وزوجته ، مع طاقم حراستهما الخاص ، فوق قضيب مغنطيسى منفرد ، وبسرعة مائتى كيلومتر فى الساعة ، عبر نفق الطورى ، إلى مطار سرى صغير ، يبعد عشرة كيلومترات عن مقر الرئاسة ، حيث كانت تنتظرهما طائرة نفائثة ، مع ست مقاتلات عسكرية ، من أحدث الأنواع وأكثرها قوة ..

وبسرعة مذهشة ، استقلّ الرئيس وزوجته ، وطاقم الحراسة الخاص ، تلك الطائرة النفائثة ، التى حُلِّقَت بهم على الفور ، وخلفها المقاتلات العسكرية الست ، لحمايتها من أى خطر ..

وعلى الرغم من أن كل هذا لم يستغرق سوى خمس دقائق فصعب ، كانت الطائرة تحلق بعدها فى

سماء (مصر) ، فى طريقها إلى مقر سرى ، فى قلب الصحراء الغربية ، إلا أن هذه الدقائق الخمس بدت لرجال الأمن ، الذين تبعوا فى مقر الرئاسة ، أشبه بدهر كامل ، وهم يراقبون الشاشات ، التى بدت فوقها تلك البقعة الحمراء فى وضوح شديد ، وهى تتقدّم وتتقدّم من أسوار المقر ..

وفى حيرة ، قال رئيس فريق المراقبة المباشرة :
- عجبا ! على الرغم مما تنقله الشاشات ، لمست لرى شيئا يقترب .

أجابه أحد رجاله ، فى توتر بالغ :
- يقولون إن ذلك العدو يمتلك قدرة مذهشة ، على إخفاء جسده تماما .

صمت الرجل لحظة ، ثم غمغم :

- ربما .

لم يكد ينطق عبارته ، حتى ارتفع أزيز جهاز الاتصال الخاص به ، فالتقطه من حزامه فى سرعة ، وقال فى الفعل :

- من المتحدث ؟

أجابه صوت مهندس المراقبة الأول ، وهو يقول :

- سيدي .. إنه إنذار زائف .. لقد خدعنا .
تسعت حيناً الرجل في ارتياح ، وهو يهتف :
- خدعنا ؟؟

أجابه المهندس في حدة :
- نعم يا سيدي .. لقد تسلّل بعضهم إلى الكمبيوتر ،
وأشعل برنامج التدريب المعائل ، الذي سجّل هجومنا
فضائياً وهمياً ، على شاشات المراقبة .

تسعت حيناً الرجل في هلع ، وقال بصوت مرتجف :
- بعضهم تسلّل إلى الكمبيوتر ؟؟ هل تدرك معنى
ما تقوله يا رجل ؟؟ هل تعرف كم كارثة تحدثت عنها
* في أن واحد ؟؟ لقد نجح بعضهم في التسلّل إلى
كمبيوتر أمن الرئاسة ، الذي يحوى ألق أسرار الدولة
وخطاياها .. وليس هذا فحسب ، وإنما نجح أيضاً في
خداعنا بهجوم وهمي ، جعلنا نطلق إنذاراً زائفاً ، على
أعلى مستوى ، دفع رئيس الجمهورية لتنفيذ خطة
الطوارئ القصوى ، والاطلاق بعيداً عن مقر
الرئاسة .. كيف يمكننا شرح ما حدث لسيادته ، بعد
عودته إلى هنا يا رجل ؟؟ هل تعتقد أنه سيكتفى
بفصلنا ، أم سيحيلنا إلى محاكمة عسكرية ، أم

قبل أن يتم عبارته ، انطلقت من جهاز الاتصال شبهة
قوية ، جعلته يتوقف في توتر ، ويهتف في عصبية :
- ماذا يحدث عندك يا رجل ؟؟

أتاد صوت المهندس ، عبر جهاز الاتصال ، وهو
يصرخ :

- هجوم يا سيدي .. هجوم حقيقي ، على السور
الأيسر .

تسعت حيناً الرجل مرة أخرى ، وأدار عينيه في
حركة حادة إلى السور الأيسر لمقر الرئاسة ، و ...
وفي نفس اللحظة ، دوى الانفجار ..
وانطلقت العاصفة ..
النووية ..

★ ★ ★

تحرك الجميع في الفعل شديد ، في مبنى جريدة
(أنباء الفيديو) ، وعلى رأسهم (مشيرة) ، التي
بدت شديدة التوتر ، وهي تقود فريقها ، هاتفة :
- إنه هجوم على مقر رئاسة الجمهورية نفسه ،
بعد أقل من ساعة واحدة ، من اغتيال وزير الدفاع ..
الأمر لا يحتمل بضاعة لحظة واحدة .. أريد فريق

تصوير متكامل ، وثلاث طائرات هليكوبتر ، وخبر
كمبيوتر ، وسيارة بث كاملة ، و

اندفعت سكرتيرتها تقاطعها في توتر ، قائلة :

- سيدي .. زوجك (أكرم) هنا .

التفت إليها (مشيرة) في دهشة ، هاتفه :

- (أكرم) ؟ هنا ؟

ثم اتفقد حاجبها في غضب ، وهي تستنرد في
حدة واستنكار :

- الآن ؟

ارتبكت السكرتيرة ، وهي تقول :

- سيدي .. أعلم أن الوقت غير مناسب ، ولكن

هينته جعلتني أ ...

قاطعتها (مشيرة) في غضب صارم :

- ألا تدركين ما يحدث ؟ ألم يمكنك استيعاب

الموقف ؟ إتهم بهاجمون مقر رئيس الجمهورية ،

وهذا قد يعنى حدوث انقلاب عسكري ، أو إعلان

حرب كبرى ، وعلى الرغم من هذا ، فأنت تخبرينني

أن زوجي هنا .. هل تتصورين أن أترك كل هذا ،

وأهرع إليه .

ارتبكت السكرتيرة ، وغمغت :

- معذرة ، ولكن ..

قاطعها فجأة صوت (أكرم) ، وهو يقول في

صرامة :

- هذا ما ينبغي أن تفعله أية زوجة وفية مخلصة .

التفتت إليه بحركة حادة غاضبة ، ولكن لم يكذ

بصرها يقع عليه ، في هينته المزرية ، والدماء الجافة ،

التي تلوث ثيابه وجسده ، وحتى هتفت :

- رياه ! ماذا حدث ؟ ماذا أصابك ؟

أمسك بمعصمها فجأة في قوة ، وجذبها إلى مكتبها

في شيء من القسوة ، قائلا :

- تعالى .. سأخبرك في مكتب .

هتفت في حدة :

- (أكرم) .. إنك تؤلمني .. ولن يمكثني إضاعة

لحظة واحدة .. الموقف بالغ الخطورة .

أجابها في صرامة ، وهو يدفعها داخل حجرة

مكتبها ، ويصفق الباب خلفهما في عنف :

- لهذا ينبغي أن أتحدث إليك .

جذبت معصمها من بين أصابعه في حدة ، وقالت

في عصبية :

- يبدو أنك لا تدرك ما يحدث .. إلهم يهاجمون مقر الرئاسة .

سألها في صرامة :

- لماذا لم يدع خبر انتقالنا إلى المقر الصحراوي ، وانتقال (نور) للعلاج فيه ؟

التفت حاجبها في عناد ، وهي تجيب :

- لأنه خبر مدسوس .. مخبركم العلمية ألقته في طريقه عمداً ، ولن أصبح مجرد قطعة شطرنج في رقتهم .. لن أعلن الخير ، قبل أن أعرف الغرض منه بالضبط .

أمست بكفها فجأة في قوة ، وهو يتطلع إلى عينيها مباشرة ، قائلاً في صرامة :

- لن تعرفي يا (مشيرة) .. الخبر بالفعل مدسوس ، ولكنك ستعطيني ، دون حتى أن تسألني عن السبب .. يكفي أن المخبرات العلمية ترغب في إعلانيه ، وبأقصى سرعة .

تملصت من يديه في حدة ، وهتفت :

- كلاً يا (أكرم) .. لن أفعل .. أنا صحفية حرة ، ولا أحد يمكنه إجباري على إعلان فعل أرفضه .. ثم

إني نضيع وقتي الآن ، فلا بد أن أعمل على تغطية الهجوم على مقر الرئاسة ، قبل أن ..

قاطعها في صرامة :

- لن تجدي جديداً هناك .. نفس الصورة البشعة ، ألقى رأيتها في كل الأماكن السابقة .. الفارق الوحيد هو أنه لن تكون هناك ضحية هذه المرة .

سألته في لهفة :

- ماذا تعني ؟

أجابها في ببطء :

- ذلك الوعد لم يظفر بالرئيس .

خفق قلبها في عنف ، وهي تهتف :

- حقاً ؟ ولكن كيف ؟ كيف نجا الرئيس ؟

تجاهل سؤالها هذا ، وهو يعاود التطلع في عينيها ، قائلاً في صرامة :

- أعلني خبر المقر الصحراوي يا (مشيرة) .

عاودها عنادها الصلب ، وهي تقول :

- كلاً .. لن أفعل ، ما لم أعرف ما له ...

قاطعها فجأة في ثورة :

- كفي يا (مشيرة) .. كفي .

تراجعت في خوف ، أمام ثورته المقاتلة ، في حين تابع هو في غضب هائل :

- تصرقي مرة واحدة ، من منطلق المصلحة العامة ، وليس من ذلك المنظور الشخصي الضيق .. تعاملني مرة واحدة ، باعتبارك مصرية وطنية مخلصة ، تغار على صالح وطنها وأمنه ، وليس كمجرد صحفية ، لا يهمها سوى الفوز بسبق جديد ، تفوز به على منافسيها .. تصرقي مرة باعتبارك جزءا منا .. من الفريق .

وانفد حاجباه في شدة ، وهو يميل نحوها ، ويغوص أكثر وأكثر في عينيها ، مضيفا في صرامة شديدة :

- من (مصر) .

انفض جسدها في خنف ، مع كلمته الأخيرة ، وحذقت في وجهه بشدة ، وكأنها تراء للمرة الأولى ، في حين اعتدل هو في وقفته ، ورمقها بنظرة أخرى صارمة ، قبل أن يستدير ، ويتجه نحو الباب ، ثم يتوقف ، ويلتفت إليها ، قائلا :

- أعلن الخبر يا (مشيرة) .

قالتها ، وغادر الحجرة ، وصفق الباب خلفه في عنف ، تاركا إياها داخلها ، وقد طار من عقلها كل ما يتعلق بالهجوم على مقر الرئاسة ، ولم يعد يشغلها سوى أمر واحد ..

كلمة زوجها عن الوطن ..

عن (مصر) ..

* * *

تفجر غضب جنوني في أعماق النوى ، واشتعل به كيانه كله ، عندما فشل في العثور على رئيس الجمهورية ، في مقر الرئاسة ، على الرغم من القتال العنيف المضاعف ، الذي خاضه هذه المرة ، والذي استنفد كل طاقته تقريبا ، قبل أن يسيطر على الموقف ..

لقد واجهه الحرس الجمهوري ببسالة شديدة ، وأطلق رجاله عليه مدافعهم اليدوية ، وقنابلهم التفوقية ، واستخدموا كل وسيلة ممكنة لإيقافه ..

ولكن الشاب كان في أوج قوته ..

وثورته ..

وجنونه ..

وبكل الطاقة الهائلة في أعماقه ، راح يطلق كراته
النارية ، وصواعقه الجبارة ، وهو يحيط نفسه بغلاف
واق مضاعف ، تصد حزم الأشعة ، والقنابل ،
والصواريخ .

وكان القتال عنيفاً ، حتى إنه شعر بطاقته تنفذ
وتنضب في سرعة ، تفوق ثلاث مرات على الأقل كل
ما حدث من قبل ، في ضرباته السابقة ..
وعلى الرغم من كل هذا ، فقد اقتصر ، في هذه
المرة أيضاً ..

لم يكن قد قضى على الجميع ، كما يفعل في كل
مرة ، ولكنه استطاع بنوغ مقر الرئاسة ، واطلق بكل
ثورته ووحشيته ، بحثاً عن الرئيس ..

وعندما لم يجده ، اشتعلت كل ذرة في كيانه بغضب
هائل عنيف ، جعله ينتزع أحد رجال الأمن المصائبين
من مكانه ، في قسوة وشراسة ، ويسأله :

- أين الرئيس ؟ أين ذهب ؟

أجابه الرجل في ألم عصبي :

- لست أدري .. لا أحد يدري .



اشتعلت كل ذرة في كيانه بغضب هائل عنيف ، جعله ينتزع أحد
رجال الأمن المصائبين من مكانه ، في قسوة وشراسة

برقت عينا النورى فى غضب ، وهوى بقيضته
على ساق رجل الأمن ، فهُشِمَهَا بعنف رهيب ، جعل
الرجل يطلق صرخة ألم قوية ، ثم تَهَزُّ شعرة واحدة
فى رأس الشاب ، وهو يعاود سؤاله بشراسة مخيفة :
- أين الرئيس ؟

هتف الرجل فى ألم :

- لا أحد يعلم ..

لم يكف ينطقها ، حتى تلقى ركلة قوية فى ساقه
الأخرى ، التى تحطمت بقرعة مخيفة ، وانطلقت منه
صرخة ألم رهيبية ، والنورى يهزه فى قوة ، صانحاً :
- أين ذهب الرئيس ؟

هتف الرجل ، وهو يكاد يفقد وعيه ، من شدة الألم :
- لست أدري .. لا أحد يمكنه أن يعلم ، سوى طاقم
الحراسة الخاص ، المرافق له .. هذا جزء من خطة
الأمن .. إنهم ينقلونه فور تلقى أول إنذار بالخطر ،
عبر نفق خاص ، إلى مطار سرى ، وهناك تنطلق به
طائرة الرئاسة الخاصة بالطوارئ ، إلى مكان ما ، يتم
إبلاغ الطيار به ، بعد الإفلاع بعشر دقائق ، بحيث
لا يمكن لمخلوق معرفة مكان الرئيس ، حتى تزول
حالة الطوارئ .

اشتعلت عينا الشاب بغضب هادر ، وهو يقول :
- اتعنى أنه ليس هنا ، وأن أحداً لا يدري أين ذهب ؟
قال الرجل ، وهو يفقد وعيه بالفعل :
- بالضبط .

صرخ الشاب فى ثورة :

- لا .. مستحيل !

فألقاها ، وهو يدير عنق رجل الأمن فى قوة ، كانت
تنتزعه من جسده ، فتهوى الرجل فى ألم ، وحفظت
عيناه فى شدة ، قيل أن يسقط جثة هامدة ، فى حين
رفع هو قبضتيه ، ونوح بهما فى الهواء ، وهو
يصرخ :

- لا .. لا يمكن أن يفكر .. لا يمكن .

بلغ مسامعه صوت سيارات الأمن ، والجيش ،
وقوات الشرطة العسكرية ، التى تهرع إلى مقر
الرئاسة ، فائتقد حاجباه فى غضب هادر ، وأدار
عينيه فيما حوله ، حتى عثر على مصدر للطاقة
الكهربية ..

ومرة أخرى ، تذبذبت كل مصابيح (القاهرة)
الجديدة ..

وعندما حاصر الرجال قصر الرئاسة ، واستعدوا
للقتال ، كان هو يشق طريقه مبتعداً عن مقر الرئاسة ،
داخل غلافه الكهربومقطبوسى ، الذى يغطيه عن
الأعين تماماً ..

كان بإمكانه أن يشتبك مع كل تلك القوات ، دون
أن يظفر له جفن ، مع كل الطاقة التى تفجرت بها
عروقه ..

إلا أنه لم يكن يرغب فى بضاعة ثمينة واحدة ..
لا بد أن يعود إلى مقره ؛ ليبحث بوساطة الكمبيوتر
عن أى مكان ، يحتمل ذهاب الرئيس إليه ..
وبينما هو ينطلق داخل سيارة جديدة ، إلى وكوره ،
راح عقله يشتمل بالقضب أكثر وأكثر ..
لقد حقق انتصاراً ساحقاً على طول الخط ..
وثار من كل من قتلوا (عسيران) ..
فيما عدا الرئيس ..

ضمحيته الأخيرة ، التى أعطاها برنامجاً حافلاً ..
كان يخطط لإلقاء القبض عليه حياً ، حتى يحمله
إلى مبنى (التليفزيون) الرسمى ، وهناك يعطى قضيته .

يعطى للعالم كله ، أنه قد فعل كل ما فعل ، انتقاماً
لإعدام (سالم عسيران) ، منذ أكثر من ربع قرن من
الزمان ..

وعندما يدرك العالم هويته ، ويفهم لماذا فعل كل
هذا ، سينتقل إلى خطوته الأخيرة ..

سيقتل الرئيس ، على الهواء مباشرة ..

سيجعل للعالم كله يرى انتقامه ..

هكذا يكون قد حقق كل ما أراد ..

وكل ما حلم به ، منذ سنوات طوال ..

وما غدته به أمه طوال الوقت ..

الشار ..

الشار ..

الشار ..

برقت عيناه مرة أخرى ، وهو ينطلق بالسيارة ،
نحو الأطلال القديمة ، فالطلق منهما شعاع من
الضوء ، انتزعه من الفعالة ، وأعادته إلى أرض
الواقع ، فتمتم فى عصبية :

— لا بد أن يدفعوا الثمن .. لا أحد منهم سينجو ..
لا أحد .

أوقف السيارة ، عند حافة الأطلال ، واتجه في خطوات سريعة نحو وكرد ، و ...
وفجأة ، لمح ذلك الخيط من الدخان ، الذي يتصاعد من موضع الوكر ..
وفي عصبية متوترة ، انطلق يمدو نحو الوكر ، وهو يتسائل عما حدث ..
وعندما بلغ المكان ، انفجرت في أعماقه قنبلة مائلة من الغضب والثورة ، وهتف :
- اللعنة ! لقد بلغوا مقرى ، ونسفوا .. نسفوا كل شيء .. الأبحاث ، والأوراق ، وأجهزة الفحص ..
وانقلبت سحنته على نحو مخيف ، وهو يضيف :
- وحتى ذكرياتي .. الأوغاد نسفوا كل شيء ..
لا أحد يمكنه أن يصف تلك التيران ، التي استعرت في أعماقه ..
لا أحد يمكنه أن يشعر بالغضب والثورة ، النذين سرىا في كيانه كله ..
لا أحد ..
ولكن كل تلك المشاعر ، اجتمعت معا في صرخة واحدة ..
صرخة ارتجت لها المنطقة كلها ..

صرخة أعلت أن القتال قد انتقل إلى مرحلة أخرى ..
مرحلة ثأر جديد ..
واستكمال لثأر قديم ..
مرحلة تحول فيها الأمر من معركة إلى حرب ..
حرب طاحنة ..
ساحقة ..
نووية ..

* * *

« ولكن لماذا ؟! »

ألقي الدكتور (حجازى) السؤال ، فى مزيج من الدهشة والافعال ، وهو يراجع كل ما أمنه ، من أوراق ونتائج ودراسات ، قبل أن يكمل فى حيرة متوترة :

- طبقاً للفحوص ، التي أجراها لنفسه ، فهو يعلم أن ساعته فى الدنيا أصبحت معدودة ومحدودة ، وعلى الرغم من هذا ، فهو يقضيها كلها سعياً وراء ثأر عجيب ، من أجل شخص ، لا نجد خيطاً واحداً يربطه به !! لماذا يفعل هذا ؟! ما الذى يدفعه إليه ؟!
هزت (نشوى) رأسها فى حيرة ، قائلة :

.. لم أستطع إجابة هذا السؤال قط .. لقد راجعت ملف قضية (سالم عمران) هذا ، أربع مرات على الأقل ، وفحصت كل ما يتعلق بالمحيطين به آنذاك ، ولم أجد بينهم شخصاً واحداً ، يمكن أن يسعى للانتقام ، بعد ثلاثين عاماً تقريباً .

أشار (رمزي) بسميائه ، قائلاً :

.. ما يدعشني حقاً هو أن ينتظر كل هذه السنين .

قالت (نشوى) في حيرة أكثر :

.. وكأنه يسعى للانتقام منذ مولده .

انعقد حاجبا (رمزي) في شدة ، وهو يردد :

.. منذ مولده ؟! نعم .. ولم لا ؟!

استغرق طويلاً في تفكير عميق ، جعل الدكتور

(حجازي) يسأله في لهفة :

.. فم تفكر يا (رمزي) ؟!

رفع (رمزي) عينيه إليه في شروء ، استغرق

بقيقة أخرى إضافية ، قبل أن يجيب في اهتمام شديد :

.. فيما قالته (نشوى) يا سيدى .. إنه قول دقيق

وصحيح للغاية .. ذلك الفتى يتصرف وكأن الهدف

الوحيد ، الذي جاء من أجله إلى الدنيا ، هو أن يثأر

لمقتل (سالم عمران) ، ومن كل من شاركوا في صدور الحكم بإعدامه .. كما لو أنه قد رضع هذا منذ مولده .

ثم التفت إلى (نشوى) ، وسألها في حماس :

.. هل كان لـ (سالم عمران) ولد ، عندما صدر

الحكم بإعدامه ؟!

هزت رأسها نفياً ، وهي تجيب :

.. ليس في حدود ما سجلته الأوراق والملفات

حينذاك .

انعقد حاجبا في شدة ، وهو يتمتم :

.. عجيباً !

ثم نهض من مقعده ، متابعاً في اهتمام بالغ :

.. لقد كان هذا هو التفسير الوحيد ، الذي يجعل

الأمر كله منطقياً .. طفل صغير ، يشاهد والده خلف

القضبان ، والكل يتهمه بالخيانة ويكلمه بالعار ،

ووالدته إلى جواره تيكى زوجها ، وتشعر بالغضب

والنفقة ، تجاه كل من يدينه ، والطفل يلتصق بها

خائفاً مذعوراً ، لا يدرى شيئاً عن خطورة الاتهام ،

الذي يحاكم من أجله والده .. كل ما يعرفه هو أن أبيه

يواجه الخطر ، وهناك من يسعون للقضاء عليه .

ثم فرغ سباته وإبهامه متابعاً في حماس :

ويصدر الحكم بالإعدام ، وتنهال الأم ، ويصرخ الأب ، ويهتف باسم ابنه ، وينفج رعب الصغير وذعره فزوتهما ، وتلحفر في ذهنه صورة لكل من أدان أياد ، وأصدر حكماً بإعدامه : ويبدو له كل هؤلاء كغريق من القتل ، انتزع منه والده ، دون أن يدرك عقله الصغير حينذاك ، خطورة الاتهام ، أو عدالة الحكم ..

وتحرك في المكان في اتفعال ، مستطرداً :

- ولا تكتفى الأم بما يعانيه الصغير المسكين ، وإنما تضاعف من تدمير مشاعره الداخلية ، وتقضى على ما تبقى من شعوره بالأمن والأمان ، عندما تذكى نيران الغضب وروح الثأر في أعماقه ، وتطالبه طوال الوقت بالانتقام لأبيه ، من كل من دفعوه إلى نهايته .. وينمو الصغير بعقل مضطرب ، لا يحوى سوى فكرة واحدة ، تعربد في كيانه كله طوال الوقت .. الثأر .. الثأر .. ومع مرور الوقت ، تلتهم تلك الفكرة ما تبقى من روحه ، حتى لا يعود له من هدف في الحياة ، سوى تحويلها إلى حقيقة واقعة .

وتوقف ليتنهد في عمق ، قبل أن يكمل :

- ثم تلوح الفرصة ، مع أبحاث الدكتور (فؤاد) .. خاصة وأن الأشخاص ، الذين يسعى للانتقام منهم ، قد أصبحوا من كبار المسؤولين ، مع مرور الوقت ، فيتمثل شخصية جديدة ، ويلتصق بالرجل ، ويتابع أبحاثه أولاً فاولاً ، حتى تحين اللحظة المناسبة ، فيضرب ضربته ، ويبدأ مرحلة الثأر والانتقام ..

هز الدكتور (حجازي) رأسه ، قائلاً :

- تحليل نفسي رائع يا (رمزي) ، ولكن ينقصه أمر واحد ، وهو أن (سالم عمران) لم يكن له ولد ، حتى تمت محاكمته وإعدامه ..

قالت (نشوى) فجأة في حماس :

- ربما جاء هذا الولد بعد إعدامه بالفعل .

التفت إليها (رمزي) في حركة حادة ، هاتفاً :

- يا إلهي ! هذا صحيح .

أما الدكتور (حجازي) ، فسألها في نهفة :

- ماذا تعنين ؟

أجابته (رمزي) ، في حماس جارف :

- تعني أن زوجة (سالم عمران) لم تكن قد أنجبت

لبنها بعد ، عندما حوكم زوجها وأعدم ، وإنما جاء

ذلك الطفل بعد موت أبيه ، ومع شعورها بأنهم
والمرارة والكراهية ، راحت ترضع ولدها الغضبي ،
والرغبة في الثأر ، وريته على الانتقام لوالده ، حتى
جها فسدت عقله منذ طفولته ، وغرست في أعماقه
هدفاً واحداً ، سعى لتحقيقه طيلة عمره .
تسمت عينا الدكتور (حجازي) في ارتياح ، وهو
يقول :

- يا إلهي ! أهذا ممكن ؟

أجابته (نشوى) في حماس ، وهي تراجع بيانات
الكمبيوتر في سرعة :

- ولم لا ؟ لقد كان (سالم) متزوجاً من يهودية ،
التقى بها في (روما) ، قبل أن يبدأ رحلته في عالم
الجاسوسية ، ولقد حضرت زوجته تلك محاكمته ،
وأدت بحديث للمصحف ، بعد صدور الحكم بإعدامه ،
وقالت : إن المسؤولين المصريين نفقوا اتهمته
لزوجها ، وإنها لن تغفر لهم هذا قط ، ثم سافرت
بعدها تمنتقراً في (إسرائيل) ، وانقطعت أخبارها
بعدها تماماً .

سألها (رمزي) في لهفة :

- هل يمكنك تعقب بياناتها داخل (إسرائيل) ؟

أجابته بسرعة وثقة :

- بالتأكيد .. سأسعى لدخول شبكة (الإنترنت) (*)

الداخلية ، ومنها إلى شبكة المعلومات الإسرائيلية ،
وسأسعى للحصول على كل ما يمكنني الحصول عليه
بشأنها .

بدا عليه الارتياح ، وهو يجلس إلى جوارها ، قائلاً :

- عظيم .

رافقهما الدكتور (حجازي) في اهتمام ، قبل أن
يقول :

- فليكن .. تابعنا أثناء عملية البحث عن هوية

النوى ، وسأكمل أنا مراجعة أبحاث الدكتور (فؤاد)

مع (طارق) ، حتى عودة (أنور) ؛ لنبدأ معاً في

إعداد خطة المواجهة القادمة .

(*) الإنترنت : شبكة كبرى للمعلومات ، تربط العالم كله ببعضه
بعض ، وتربطه بالمستخدم العادي لأجهزة الكمبيوتر الشخصية .
عن طريق الوسيط الهاتفية (المودم) ، بحيث يمكن لأي شخص
معرفة أية معلومات ، عن أية جهة ، تشترك في الشبكة الدولية .
بمجرد حصوله على عنوان وشعرة الاتصال بتلك الجهة .

ثم تلفت حوله ، مستظرداً :

- ولكن أين (طارق) ؟ أين اختفى منذ ما يقرب من نصف الساعة ؟

اعتقد حاجبا (نشوى) وهى تعتدل ، مضغمة :

- (طارق) ؟

تلفت الدكتور (حجازى) حوله مرة أخرى ، متسائلاً :

- نعم .. أين هو ؟

التفت حاجبا (نشوى) أكثر وأكثر ، واستعاد ذهنها مشهد (طارق) ، وهو يوصل جهاز الكمبيوتر الخاص به ، بأجهزة المرصد القديمة ، ثم لم تثبت أن هزت رأسها فى قوة ، وكأنما تنفض عنها ذلك المشهد ، وقالت للدكتور (حجازى) :

- ربما تجده فى قاعة المرصد .

ارتفع حاجبا الدكتور (حجازى) فى ذهنة ، وهو يقول :

- وماذا يفعل هناك ؟

هزت كتفها ، قائلة :

- ربما يهوى تلك الأشياء القديمة .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يتجه نحو الصر ، الذى يقود إلى قاعة المرصد ، قائلاً :

- لا بأس .. لم يعد هناك ما يدهشنى بشأنه .

تابعه (نشوى) ببصرها ، حتى اختفى داخل الصر ، ثم واصلت عملها على الكمبيوتر .. ولكن تلك النظرة ، المضغمة بالقلق والتوتر ، التى شيعت بها الدكتور (حجازى) ، لم تخف على زوجها (رمزى) ، الذى سألها فى اهتمام :

- ماذا هناك ؟

التفتت إليه ، قائلة :

- هناك شيء غامض ، يربط ما بين (طارق) وهذا المكان .

قال فى حذر :

- ربما يهوى تلك الأشياء القديمة ، كما قلت للدكتور (حجازى) .

صمتت لحظة فى تردد ، قبل أن تقول :

- لست أعتقد أن هذا هو السبب الوحيد .

ثم روت له فى توتر ما رآته ، فى قاعة المرصد ، فاستمع إليها فى اهتمام مشوب بالقلق ، ثم قال :

.. ربما لا يعنى هذا شيئا ، أو هو يعنى كل شيء ..
 وصمت لحظة أخرى ، ثم أضاف فى حزم :
 - ولكننا نستطيع تأجيل هذا لما بعد .. المهم أن
 نركز جهودنا كلها الآن ، تبحث أسر عدونا النووى .
 تنهذت ، قائلة :
 - أنت على حق .

وعادت تواصل عملها على الكمبيوتر ..
 وفى نفس الوقت ، الذى تبادلا فيه هذه الكلمات ،
 كان الدكتور (حجازى) يقطع العمر ، الذى يقود إلى
 قاعة المرحض ، فى خطوات خفيفة سريعة ، حتى بلغ
 القاعة ، وقبل أن يدخل إليها ، التفتت أثناء فجأة
 صوت إيقاع إلكترونى يتردد داخلها ، فتوقف فجأة ،
 وارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يتسائل فى أعماقه
 عما يوحى به هذا ..

كان الإيقاع منتظما إلى حد ما ، ويتكون من ثلاثة
 مقاطع مختلفة ، تتكرر بفارق زمنى ضئيل للغاية ،
 على نحو جعلها أشبه برسالة متكررة ..
 أو بإشارة محدودة ..
 إشارة استفائية ..

شيء أشبه بالإشارة الدولية الشهيرة (S.O.S) (*) ..
 ولكن ليس بالإيقاع نفسه ..
 وفى حيرة ، غمغم الدكتور (حجازى) ، وهو
 يندف إلى القاعة :

- عجباً ! ما الذى يفعله (طارق) بالضبط ؟
 لم يكذب غمغم بالعبارة ، حتى توقفت الإشارة بغتة ،
 وبداله (طارق) ، وهو ينهض فى سرعة وارتباك ،
 من أمام جهاز اتصال فضائى قديم ، وسيلاته تسرع
 بإغلاقه فى توتر عنحوظ ، قبل أن يتسهم ابتسامة
 متكلفة ، ويقول :

- لقد نجحت فى إصلاح هذا الجهاز القديم .. هل
 يمكنك أن تصدق هذا ؟
 نقل الدكتور (حجازى) بصره بينه وبين ذلك
 الجهاز القديم لحظة ، قبل أن يقول فى بطء حذر :

(*) إشارة الاستغاثة الدولية (S.O.S) : هى إشارة يتم
 إرسالها بلغة (موريس) التفرافية ، من خلال الإشارات البحرية .
 والفلاشية ، وحتى الضوئية . وهى اختصار للعبارة الإنجليزية
 (أنقذوا لرواحنا) .. (Save Our Soles) .

- وهل تعتقد أن الوقت يناسب مثل هذا العمل ؟
رفع (طارق) يده ، ليخلل شعوه بأصابعه ، وهو
يخفم :

- مجرد محاولة للترويح عن النفس ، والتخفيف
من ثوتر الموقف .

ثم اتجه إلى الدكتور (حجازي) ، ووضع يده على
كتفه ، قائلاً :

- هل توصلت (نشوى) إلى شيء ؟

أجابته الدكتور (حجازي) ، وهو يعود معه إلى
حجرة الفريق :

- (رمزي) وضع نظرية جديدة ، وهي تسمى
إثباتها .

أدعته أن (طارق) لم يسأله عن تلك النظرية ،
ولا عن الوسيلة التي تتبعها (نشوى) ، لمحاولة
إثباتها ، وإنما بدأ وكان كل ما يهمه هو أن يبعده عن
قاعة المرحض ، وهو يسأله :

- هل راجعت نتائج الفحص ، التي نقلناها من
كمبيوتر النوى ؟

أجابته الدكتور (حجازي) :

- نعم .. لقد راجعتها مرتين ، وهناك نقطة تشير
قضى فيها ، ربما يمكنك أنت حلها ، باعتبارك خبيراً
في الطاقة النووية .

سأله (طارق) في اهتمام :

- وما هي ؟

أجابته ، مشيراً بسبابة في الهواء :

- ذلك التناقص المتواصل في طاقة خلاياها ، التي
تحولت إلى نوع من بطاريات الشحن الحيوية ،
المشحونة بالمادة المشعة .. إنها ستبلغ مع الوقت
حدا يجعلها أقرب إلى الكتلة الحرجية للقبال النووية .
تعتقد حاجبا (طارق) في شدة ، وتوقف فجأة ،
وهو يقول في قلق شديد :

- يا إلهي ! هذا صحيح .

لم يعد يتم عبارته ، حتى هرع (رمزي) إلى
الممر ، هاتفاً :

- هل سمعتم آخر الأنباء ؟

سأله (طارق) بسرعة :

- ماذا حدث ؟؟

لَوْح (رمزي) بذراعيه ، هاتفاً :

- لقد ضرب النووى ضربته الجديدة .

وكانت مفاجأة حقيقية ..

وعشيرة .



٧ - جنون ..

الجمعة : الحادي عشر من مايو .. العاشرة
والنصف مساءً .

شعور قوي بالألم ، سري في جسد (نور) ، وهو
يستعيد وعيه في بطنه ، داخل وحدة العناية المركزة ،
في الطابق الثالث تحت الأرض ، في مبنى إدارة
الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ..

ومع الألم ، كان هناك صداع عنيف ، جعله يغفم
في إرهاق :

- أين أنا ؟؟

أتاه صوت زوجته ، وهي تهلف بكل لهفتها :

- (نور) .. حمداً لله على سلامتك يا (نور) .

فتح عينيه ، متطلعاً إليها ، وإلى يسوعها المنهمرة
على وجهها في سعادة ، ثم ابتسم في ضعف ، مضطرباً :

- هل غبت عن الوعي طويلاً ، إلى هذا الحد ؟؟

احتضنته في فرح ، قائلة :

- حمداً لله يا (نور) .. حمداً لله .

احتضنها في رفق حنون ، وترعها بفرغ دموعها
على صدره بضع لحظات ، دارت عيناه خلالها في
المكان ، حتى تعرفه ، ثم سألها في اهتمام :

- أين (نسوى) ؟ أين الرفاق جميعهم ؟ ماذا
فعلتم في قضية ذلك العدو الخارق ؟

مسحت دموعها بأصابعها ، مجيبة :

- لقد تطورت الأمور كثيراً ، خلال الساعات الماضية

يا (نور) .

سألها في قلق .

- كيف ؟

قبل أن تفتح شفتيها ، ارتفع صوت الدكتور (ناظم) ،
وهو يقول :

- سأشرح لك كل شيء يا (نور) .. حمداً لله على
سلامتك .

أدار (نور) عينيه إليه قائلاً في اهتمام :

- أشكرك يا دكتور (ناظم) .. الواقع أنني أريد
معرفة كل التفاصيل .

ربتت (نسوى) على كتفيه ، قائلة في إشقاق :

- ألا تحصل على قليل من الراحة أولاً يا (نور) ؟
التفت إليها قائلاً :

- هل تعتقدون أن لدينا الوقت لهذا ؟

صمتت لحظة ، وهي تنظف إلى عينيه مباشرة ،
قبل أن تتمتم في خفوت :

- كلا .

اكتفى بقولها هذا ، والتفت مرة أخرى إلى الدكتور
(ناظم) قائلاً :

- أريد معرفة كل التفاصيل يا دكتور (ناظم) .

ارتسمت ابتسامة شاحبة على شفتي الرجل ، وهو
يقول :

- بالتأكيد يا (نور) .. بالتأكيد .

وفي سرعة ودقة ، راح يروي له كل ما حدث ،
منذ فقد وعيه ، في حادث السيارة (*) ، وبشكل
التفاصيل الممكنة ، وشرح له ما توصل إليه فريقه ،
مضمناً تحذير رئيس الجمهورية ، وخدعة الهجوم
الزائف ، التي اتفقت حياة الرئيس ، ثم تنهد في عسى ،
متابعاً :

(*) راجع الجزء الأول (العدو الخارق) - القصة رقم

- ومن الواضح أن نجاة الرئيس قد أثارت غضبه وجنونه ، إلى أقصى حد ، ولم يمكنه احتمال قتله في القضاء على آخر ضحايا حملته الثأرية ، لذا فقد هاجم وحدة عسكرية محدودة ، على مشارف (القاهرة) الجديدة ، ونجح في تدمير معظم أسلحتها ، وقتل أكثر من مائة من العسكريين ، في وحشية مخيفة ، قبل أن يستخدم أجهزة الاتصال فيها ، ليثبت رسالة إلى كل وكالات الأنباء العالمية .

وتراجع في مقعده ، في توتر ملحوظ ، قبل أن يضيف :

- رسالة أعلن فيها أنه سيواصل حملة القتل والتدمير بلا توقف ، وسينقل المعركة إلى أهداف مدنية ، دون تحديد أو تمييز ، خلال الساعات القليلة القادمة ، ما لم يظهر رئيس الجمهورية ، ويعلن عن وجوده في وضوح .

زوى (نور) ما بين حاجبيه ، وهو يغتم :

- عجباً ! الكل يهدف إلى رئيس الجمهورية هذه الأيام (*) ، وكأنما لم يعد لهم خصم سواه .

(*) راجع قصة (بصمة الموت) .. المغامرة رقم (١١٢) .

تنهد الدكتور (ناظم) في علق ، وقال :

- المؤسف أن كل وسائلنا القتالية والدفاعية قد قضت تماماً ، في التصدي لذلك السفاح المجنون يا (نور) ، أو إيقاف حربيه المخيفة .. من الواضح أن الدكتور (فؤاد راض) نجح في صنع وحش جديد ، لا يمكن السيطرة عليه .. عم أشعر بالارتياح ، لأن عقاره لم يعد له وجود .

غمغم (نور) :

- من يدري ؟!

حدث الدكتور (ناظم) في وجهه بارتياح ، هاتفا :

- (نور) .. هل تعلم أن ...

قاطعته (نور) في حزم :

- است أغنى شيئا يا دكتور (ناظم) .. إننا نواجه ذلك الوحش الآن ، علينا أن نركز كل جهودنا لإيقافه ، قبل أن يريق المزيد من دماء الأبرياء ، بجنونه الوحشي هذا .

سأله الدكتور (ناظم) في اهتمام :

- لديك خطة محدودة ؟!

أجابته (نور) ، وهو ينهض جالساً على طرف فراشه :

- خطة (طارق) ممتازة للغاية ، وتشفا عن موهبة
والعفة ، فى هذا المجال ، ولكنها تحتاج إلى بعض
الإضافات والتعديلات البسيطة .
وهفت (سلوى) فى دهشة قلقة ، عندما نهض
يلتقط ثيابه :

- ماذا ستفعل ؟!

- أجايبها فى حزم :

- ياله من سؤال ! سأعود لقيادة فريقى بالطبع .
هتفت معترضة :

- فى مثل هذه الظروف ؟!

- التفت إليها فى صرامة قائلا :

- هذه الظروف بالذات ، هى التى تدفعنى إلى هذا .
تبدلت نظرة متوترة مع الدكتور (ناظم) ، الذى
تحنح ، مضجعا :

- زوجتك تقصد أنك قد استعدت وعيك منذ قليل ،
وربما ...

- قاطعه (نور) فى صرامة :

- خصمنا لن يمهلنا لحظة واحدة .

- ثم راح يركب ثيابه فى سرعة ، وهو يضيف :

- حاولوا إقناع (مشيرة) بإعلان خیر انتقال الفريق
إلى ذلك المقر الصحراوي ، حتى ولو اضطررتم
لإجبارها على هذا ، بأية وسيلة كانت ، وانسروا
شائعة تفيد بأننا نحمل الرئيس هناك .. وسيكفى هذا
لاستفزاز كل مشاعر ذلك الشاب ، ودفعه إلينا دفعا ،
وعندما يبلغ المقر ، سنعمل على تنفيذ خطة (طارق) ،
ولكننا سنضيف إليها خطوة جديدة .
واعتدل فى حزم ، قبل أن يستطرد :

- وحاسمة .

- نطقها على نحو يوحي بأن الحرب ، ومنذ هذه
اللحظة ، ستتخذ مسارا جديدا بالفعل ..
وأنها لن تنتهى ، إلا بنهاية أحد الطرفين ..
إما النووى ..
أو فريق (نور) ..
بأكمله ..

★ ★ ★

« ولقد نما إلى علمنا ، من بعض المصادر الوثيقة
الصلة بالفريق ، أن أفرادهم أفرسوا أن ذلك العدو
الخارق ، الذى تسبب فى سلسلة الاغتيالات الأخيرة ،

يسعى الآن خلفهم ، لذا فقد انتقلوا إلى مقر جديد .
 في قلب الصحراء ، تم تحديد موقعه بالضبط ، إلا أن
 أحد مصادرها نجح في التوصل إلى أن ذلك المقر
 الجديد يقع داخل أحد المراصد القديمة ، التي لم تعد
 موضحة على الخرائط الحديثة ، وأن الفريق قد أعد
 حجرة طبية خاصة هناك ، لعلاج فائده (نور) ، بعيداً
 عن مصادر الخطر .. أما بالنسبة للمسيد رئيس
 الجمهورية ، فمزال موقعه الحالي مجهولاً ، وإن
 أصدر مجلس الرئاسة بياناً ، أعلن فيه أن الرئيس في
 حالة جيدة ، وأنه مزال يصدر قراراته ، ويتابع أعمال
 الدولة ، من مكان ما بالصحراء الغربية ، وأن الاختفاء
 المؤقت يعود إلى أسباب أمنية خاصة ، ولا صحة
 إطلاقاً لما أشيع حول نجاح ذلك العدو الغامض في
 اغتياله ، وسينج سيادة الرئيس بنفسه بياناً للشعب ،
 حول الواقعة وخفاياها ، في الصباح الباكر بإذن
 الله .. (مشيرة محفوظ) ، تتحدث إليكم ، من (أبناء
 الفيديو) .. تابعوا التطورات معنا ... »
 لختلت صورتها من شاشة التلفزيون ، وحل
 محلها ذلك اللون المميز ، مع اللوحات المتحركة ثلاثية

الأبعاد ، التي تحمل شعار (أبناء الفيديو) ، لفسق
 (أكرم) في حماس ، وهو يقول مزهواً :
 - رائع .. (مشيرة) قامت بدورها خير قيام ؟
 ابتسم (طارق) ، مغفماً :
 - أهناك .
 أشار (أكرم) بيده قائلاً :
 - هاهي ذى زوجتى التي أعرفها .
 نقل (نور) بصره بينهما ، قبل أن يقول :
 - قيام (مشيرة) بدورها ، بالإضافة إلى الشائعة ،
 التي انتشرت في المدينة ، موحية بأن الرئيس هنا ،
 سيدفعان ذلك النووي حقناً لمهاجمتنا .
 ثم التفت إلى (رمزي) ، يصاله :
 - أليس كذلك ؟
 أجابه (رمزي) في سرعة :
 - بالتأكيد يا (نور) .. إنه يسعى لتحقيق انتقامه
 الأخير ، وما إن يتصور أن الرئيس هنا ، حتى يهرع
 إلينا على الفور .
 قال (أكرم) في قلق :
 - السؤال هو : كيف منسقبل هروعه هذا ؟

أشارت (نشوى) بيدها ، قائلة :

- بل كيف ستدرك أنه ينقض عشنا ، إذا ما أحاط
جسده بغلاف الإخفاء ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

- هنا يأتى دور أمك .

أدارت (نشوى) عينيها إليهم ، دون أن تتوقف
عن عملها ، وهى تقول :

- إننى أعد برنامجى ، وعندما أنتهى منه ، سيمكننا
رصد أى صوت ، يقترب من هنا ، فى دائرة نصف
قطرها كيلومتر كامل .

أوماً (نور) برأسه فى ارتياح قائلاً :

- صدقاً لله .. إن فلدينا وسيلة كشف اقترابه ، ولكن
ماذا عن خط الدفاع الأول ؟!

أجابها (أكرم) ، وهو يتوَّج بمسدسه :

- عندما يظهر ذلك الوغد ، سنستخدم أجهزة التحكم
عن بعد ، لنطلق عليه خمس عشرة دبابية ، وثلاث
طائرات مقاتلة ، بحيث يضطر للاشتباك معهم ،
مستهلكاً طاقته ..

تمتم (طارق) :

- أتعتقد أن يحدث هذا .

التفت إليه (نور) فى طء قائلاً :

- إننا ننفذ خططك :

غمغم (طارق) :

- أعلم هذا .. أعلم هذا .

كان من الواضح أنه منشغل بشدة فى دراسة
أمر ما ، يتعلق بالحالة ، التى وصلت إليها خلايا النوى ،
لذا فقد أدار (نور) عينيه عنه ، وترعه يراجع الأمر
مرات ومرات ، مع الدكتور (حجازى) ، ثم سأل
(نشوى) :

- هل توصلت إلى هويته ؟!

ضغطت (نشوى) أحد أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص
بها ، وهى تجيب :

- أجل .. وكانت أمانى مفاجأة :

التفت إليها الجميع فى اهتمام شديد ، فتأملت ،
وهى تطالع بعينيها تلك المعلومات ، التى ظهرت على
الشاشة :

- لقد اخترقت بالفعل شبكة المعلومات الإسرائيلية ،
وبحثت عن الملف الخاص بزوجة (سالم عسران) ،

ولم يكن عسيرا ، فقد كانت تتقاضى معاشا من جهاز
المخابرات الإسرائيلية ، باعتبار أن زوجها قد لقى
مصرعه في أثناء الخدمة ، ولقد كشفت أن المعاش
كان موجها إليها ، وإلى ابنها (إفرام) ، الذي أنجبته
بعد سنة أشهر من موت أبيه ، وأطلقت عليه اسم
(إفرام سالوم) ، حتى لا يدرك جيرانها أنه عربي الأب ،
ولقد حصل (إفرام) على الجنسية الإسرائيلية فور
مولده ؛ نظرا لأنه يهودي الأم (*) ، وعلى معاش
والده ، إلا أنه لم يحصل قط على الاحترام اللازم ، في
المجتمع الإسرائيلي ، الذي ما زال ، بعد كل هذه
السنين ، يفرق بين اليهود الشرقيين (السفرديم) ،
واليهود الغربيين (الاشكنازيم) ، لذا فقد أبغض الظروف ،
التي أتت به إلى (إسرائيل) ، كما حرصت أمه طوال
الوقت ، على تذكره بما أصاب والده ، وكانت تعرض
أمامه باستمرار أحد أفلام الفيديو ، لمحاكمة والده ،
وتجبره على مشاهدته يوميا ، وهي تذكى في أعصابه

(*) قانون الجنسية في (إسرائيل) لا يمنح الجنسية
الإسرائيلية إلا للمولودين من أم يهودية فحسب ، وينص على عدم
منحها لمولود الأمهات غير اليهوديات ، أي كانت الأسباب .

نيران البغض والكراهية والمقت ، والرغبة العارمة
في الثأر والانتقام .

سألها (أكرم) في دهشة :

- وهل حصلت على كل هذا ، من ملف الأم

الإسرائيلية ؟!

أومأت برأسها إيجابيا ، وقالت :

- بالطبع ، فهو يحوى أوراق وتقارير العلاج النفسى ،

الذى خضعت له مع ابنها ، بعد أن أبلغ جيرانها
السلطات عن صراخ ابنها المتواصل ، وضربها الضيق
له طوال الوقت .

هز (رمزى) رأسه ، مغمغا :

- يا للمسكين !!

التفت إليه (أكرم) في دهشة مستتكرة ، هاتفا :

- مسكين ؟!

أجابته (رمزى) :

- بالطبع .. لا تفكر في كل ما فعله ، خلال الساعات

الماضية .. حاول أن تعود بذاتك إلى طفولته

وماضيه .. إلى الأسباب التي خلفت منه ذلك الوحش

الرهيب ، الذى تعدمت في قلبه الرحمة والشفقة ..

قال (أكرم) في حدة :

- هذا لا يصنع فاروقاً ، بالنسبة لكل من نقوا مصرعهم على يديه . ولا بالنسبة لأسرهم وزوجاتهم وأبنائهم .

أجابه (رمزي) ، محاولاً تهدئته :

- بالتأكيد .. إنني لا أحاول إغواءه من مسئولية ما فعل ، وما اقترفت بهاء ، ولكنني أتحدث عن الأسباب ، التي أدت إلى هذا .

ثم اعتدل في مجلسه ، مستطرداً :

- حاول أن تتخيل طفلاً صغيراً ، تجبره أمه كل يوم ، على مشاهدة تفاصيل المحاكمة ، الذي أدين فيها أبوه ، وصدر الحكم بإعدامه ، وتفعل هذا ، وهي تسكب في آذنيه طناً من السموم ، وتشغل في أعماقه رغبة في ثأر عفيف ، لم يولد مع براوة طفولته وصباه حتماً ، وتعقبه بروايتها وحديثها ومقتها وغضبها كل يوم ، حتى يشكو جيرانه من صراخه وألامه . فيتم تحويله إجبارياً إلى الكشف النفسي ، الذي يفرّج احتياجه إلى علاج نفسي ، وعلى الرغم من هذا ، فألأم تواصل بث سمومها ، والتحدث عن الصحامة ، والتأثر والانتقام ، فأيّة نتيجة تنتظرها ؟!

الجنون بالطبع .. لقد أصابه الجنون حتماً ، في حادثته أو صباه .. ومثل هذا النوع من الجنون ، يجمع حتماً ما بين العبقورية ، والاختلال ، بحيث كان (إفرام) قادراً على وضع خطة طويلة المدى ، واتصال شخصية وهوية مصرية ، واحتمال سنوات طويلة من العمل ، كمساعد للدكتور (فؤاد راجب) ، حتى يمكنه تحقيق ثأره وانتقامه في النهاية .

عقد (أكرم) حاجبيه في صرامة ، وهو يقول :

- ما زلت أصرّ على أن هذا لا يصنع فاروقاً .

أشار إليه (نور) قائلاً :

- ولكنه يمنحك معلومات بالغة الأهمية عن خصمك

يا (أكرم) .

التزع (أكرم) سدسه من غمده ، ولوح به ،

هاتفاً في حلق :

- المعلومة الوحيدة التي تعينني ، بالنسبة لخصم

كهذا ، هي أين يكمن مقتله فحسب .

قال الدكتور (حجازي) في رصانة :

- ربما يكمن مقتله في أمر كهذا !

مطّ (أكرم) شفتيه ، على نحو يشفّ عن أن الحديث

لا يروق له ، ولكنه أعاد مسدسه إلى غمده ، قائلا في صرامة :

- لا بأس .. دعونا نرى كيف تفيدينا قصة حياته ، عندما تبدأ الحرب ؟!

اتفق حاجبا (طارق) ، وهو يقول :
أخشى أن قصة حياته ليست المشكلة الوحيدة الآن يا (أكرم) .

انفتحت إليه الجميع في قلق ، وسألته (سوى) :
وما المشكلة الأخرى ؟!

نُصار إلى شاشة جهاز تحديد الطاقة الجديد ، صجيبا في حزم واقتضاب :
- الطبيعة !

أُظِّلَت تساؤلات عديدة من عيونهم ، فتابع بسرعة :

- هذه الخطوط الحمراء الزرقعة ، التي تبدو في أسفل الشاشة ، تعنى أن الطبيعة لا تعمل لصالحنا ، ولن تفعل خلال الساعات القادمة .. فهذه الخطوط أنها السادة ، تعنى أننا في بداية عاصفة .. عاصفة رملية . وكانت مفاجأة للجميع ..

مفاجأة قاهرة على إفساد خطتهم ..
كلها ..

★ ★ ★

تعلمت عينا صاحب متجر أجهزة الكمبيوتر الصغير ، بوجه الشاب المتين البنيان ، الذي دلف إلى متجره في خطوات واسعة قوية ، واتجه مباشرة إلى أحد أجهزة الكمبيوتر ، الخاصة بالمرض ، وراح يعمل عليه في سرعة واهتمام ، مسدعا بعض البرامج المساحية ، والخرائط القديمة ..

لم يكن ما يفعله أمرا غير مألوف ، بالنسبة لمتاجر الكمبيوتر ، إذ كثيرا ما يسعى البعض لتجربة الأجهزة المعروضة ، والقيام ببعض العمليات المعقدة عليها ، كوسيلة لحسم اختيارهم ، وشراء جهاز الكمبيوتر الذي يناسبهم ..

وهو لا يداني - في المعتاد - بنوع البرنامج ، الذي يستدعونه عبر جهاز الكمبيوتر ، إيمانا منه بأن كل شخص يبحث عما يناسبه ..
ولكنه ، في هذه المرة ، كان شديد الاهتمام والتوتر ، وهو يتطلع إلى ذلك الشاب ، ويقارن بين ملامحه .

وثبت التهمة التي تم توزيعها ، على كل متجر بالمنطقة ، حاملة صورة (إفرام سالون) ..

كان الشاب منهكاً في البحث عن منطقة ما ، على الخرائط القديمة ، فاستغل صاحب المتجر اهتمامه واشغاله ، وضغط لزرار هاتف الفيديو في حذر ، ولم يكد يرى صورة رجل شرطة على شاشته ، حتى همس في حذر :

- هنا متجر (ملتيميديا) لكسيبوتر .. اعتقد أن الشاب الذي تبحثون عنه هنا .

سأله رجل الشرطة في اهتمام شديد :

- أأنت واثق يا رجل ؟!

أجابته في توتر :

- تمام الثقة .. إنه يقف على بعد ثلاثة أمتار مني فحسب .

واختلس نظرة أخرى إلى الشاب ، مستطرداً في همس عصبى :

- ولكن أسرعوا بالله عليكم .

أجابته رجل الشرطة في سرعة :

- اطمئن يا رجل .. كل شيء سيسير على ما يرام ..

سأصل بأقرب دورية شرطة ، وستصك خلال دقيقة واحدة .. ولكن لا تفعل شيئاً ، ولا تحاول إثارة توتره أو شعوكه ، حتى تصل إليك الدورية .

سأله الرجل في قلق :

- وماذا لو حاول الانصراف ؟

أجابته الشرطي في حزم :

- دعه ينصرف ، ولا تحاول اعتراض طريقه فقط .

كان (إفرام) يسمع كل حرف ، نطق به صاحب المتجر ، إلا أنه لم يلتفت إليه ، أو يبال حتى بما يسمعه ، فقد اشغل كثيراً في فحص الخرائط القديمة ، بحثاً عن ذلك المرصد ، الذي تحدث عنه (مشيرة) ، في (أنباء الفيديو) ، والذي لم يعد له وجود على الخرائط الحديثة ..

كل شيء كان يبدو له متطيقاً تماماً .

الفريق أدرك أنه مستهدف ، بعد محاولة الاعتداء على (نور) ، في المستشفى المركزي ، فلجأ إلى مقر مجهول في الصحراء ، كشفه فضول صحفي ، ومن الطبيعى أن يتم نقل قائد الفريق ، إلى ما يبدو للجميع وكأنه أكثر الأماكن أماناً في العالم ..

وكذلك الرئيس ..

عادته ذلك الشعور المخيف بالغضب والثورة ، عندما تذكر أمر الرئيس ، ورغبته في الانتقام منه ، والشكر لوالده الراحل ، وسرت في عروقه موجة حارة من السخط ، جعلته يطلق زمجرة مكتومة ، وهو يطالع إحدى الخرائط القديمة ، ويقارنها بواحدة حديثة ..
وسم زمجرته ، هوى قلب صاحب المتجر عند قدميه ، وارتيك بشدة ، فلم يجد أمامه سوى أن يقول :

.. هل .. هل راق لك الجهاز ؟

استدار (إفرام) في حركة حادة ، ليرمقه بنظرة صارمة ، تراجع معها الرجل في عصف ، كما لو أن النظرة قد أصابته بصدمة عنيفة في صدره ، واتسعت عيناه في ارتياح ، وهو يحدق في وجهه ، في حين قال النورى بصوت صارم مخيف ، حين ليرجل أنه قادم من أعماق أعماق القبور :

.. اهتم بشئونك يا رجل .

ثم عاد يواصل عمله على الكمبيوتر ، مضيفاً :

.. وانتظر قدوم رجال الشرطة ؟

انفجر قلب الرجل داخل صدره ، مع العبارة الأخيرة ،

وشحب وجهه في شدة ، حتى بدا أشبه بالموتى ، وارتحف جسده كله ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وتتم دون قصد منه :

.. بالطبع يا سيدي .. بالطبع ..

قالها ، دون أن يعنى شيئاً ، وقد راعه أن يبدى الشاب معرفته بما فعله ، ولا مبالاة به ، ثم راح يتسأل في حذر ، إلى خارج المتجر ، في حين تجاهله (إفرام) تماماً ، وأخذ يواصل عمله على الكمبيوتر ، بحثاً عما جاء من أجله ..

نقد حدد موقع المرصد القديم ، الذي يجتمع فيه الفريق بالفعل ..

ولكن هذا لم يكن يكفيهِ ..

إنه بحاجة إلى دراسة أمور أخرى ..

وعديدة ..

خطوط الكهرباء ، التي تغذى المكان ..

الحالة المناخية والجيولوجية للمنطقة ..

موقع النقاط العسكرية والأمنية القريبة ..

وغيرها ..

وغيرها ..

وبينما انتهت في دراساته ، اقتربت دورية الشرطة
من المكان في هدوء ، وقال قائدها لزملائه الأربعة
في حذر :

- لا تحاولوا استفزازة .. سنكتفى بمراقبته ونحدد
مسيره فحسب ، طبقاً للأوامر .. لا تنسوا أنه بالغ
الخطورة إلى أقصى حد .. لا إطلاق للنار .. أو احتكاك
مباشرة .. هل تفهمون !!

أولاً الأربعة متفهمين ، ففهم ، وهو يقود السيارة
إلى منطقة محجوبة عن المتجر :

- عظيم .

كان يدور حول المدخل الرئيسي للمتجر ، في حذر
وسرعة ، و ..
وفجأة ظهر صاحب المتجر ، الذي لم يكن يلحظ
السيارة ، حتى اندفع نحوها ، ملوحاً بذراعيه ، وهاتفاً
في زعر :

- أسرعوا .. إنه هنا .. أسرعوا ..

بلغ هتافه سماع النووى ، فالتفت إلى المدخل في
حركة هادة ، ثم عاد إلى الكمبيوتر ، وراجع آخر
ما يريد من معلومات ، وهو يقول لنفسه :

- لا بأس .. لن يضير قليل من النشاط .

قلتها ، وغابر المتجر في هدوء ، وسيارة الشرطة
تسعى للاختفاء ، و ..

وانطلقت من النووى كرة نارية ..

وصاح قائد سيارة الشرطة ، وهو ينصرف بها
بأقصى سرعة :

- رياه ! إنه هو ..

كان يقود السيارة في براعة مذهشة ، وعلى الرغم
من هذا ، فقد أصابت كرة النار مؤخرة السيارة ،
في أثناء دوراتها ، وانفجرت فيها في عنف ، فارتفع
نصفها السفلى ، ووثب في الهواء ، ثم عادت تسقط
أرضاً في عنف ..

وقبل حتى أن تنقلب على جانبيها ، أصابتها كرة
النار الثانية ..

وكان الانفجار أكثر عنفاً ..

وسادت موجة من الذعر في المنطقة ، وراح
الجميع يعدون في كل مكان ، فراراً من ذلك القاتل
الرهيب ، الذي وقف يتطلع في هدوء إلى التيران ،
التي اشتعلت في سيارة الشرطة ، وإلى أحد رجال

الشرطة ، الذى اطلق يعدو ، والنيران تلتهم ثيابه
 وجسده ، مطلقاً صرخات ألم مهيبة ، وكأنه يشاهد
 عرضاً هزلياً مرحاً ، لإحدى الفرق الجديدة ..
 ثم استدار عائداً إلى المتجر ، الذى خلا من كل
 رواده ، والنزع جهاز الكمبيوتر من مكانه فى عطف ،
 وألقاه أرضاً ، ثم جذب مصدر الكهرباء المتصل به ،
 وحطمه بضربة واحدة ، قبل أن يدفع قبضته وسط
 الأسلاك العارية ..

وتذبذبت الأضواء فى الماكن بشدة ..

وفى (القاهرة) كلها ..

أما هو ، فقد راح يشحن جسده بطاقة غير محدودة
 من الكهرباء ، وعيناه تبرقان فى نشوة عجيبة ..
 نشوة قاتل سفاح ، يستعد لارتكاب مذبة جديدة ..
 وعشيرة ..

وعندما شعر بالقوة تسرى فى عروقه ، انتزع
 قبضته من وسط الأسلاك ، وأدار عينيه فى المكان ،
 ثم غادره فى خطوات واسعة قوية ، وما إن أصبح
 خارجه ، حتى استدار يطلق نحوه كرة نارية جديدة ،
 فصرخ صاحبه من بعيد :



أما هو ، فقد راح يشحن جسده بطاقة غير محدودة من الكهرباء ،
 وعيناه تبرقان فى نشوة عجيبة

- لا .. ليس المتجر ..

ومع صرخته ، انفجر المكان كله ، واتسعت عيناه
في ذهول وارتياح ، وهو يحدث في الثوران ، التي
راحت تلتهم متجرة في شرارة مخيفة ، وضوؤها
يتراقص على جسد الشيطان النورى ، وهو يتعد ،
ويتلشى في بطنه ، سحجها نحو المرصد القديم ..
نحو ساحة المعركة الجديدة .
والأخيرة ..

★ ★ ★

تطلعت (سلوى) فى قلق ، غير نافذة الحجرة ،
إلى الرمال التي تزايدت سرعتها على نحو ملحوظ .
يوهى بأن تلك الرياح لن تثبت أن تتحول إلى عاصفة
محدودة ، يصعب معها رصد الأصوات المحيطة بالمكان .
وتحديد موقع ذلك النورى عند وصوله ..
وبكلمات واضحة ، نقلت (سلوى) قلقها إلى لسانها ،
قائلة :

- أعتقد أن هذا يفسد خططنا إلى حد ما .

قال (أكرم) فى عصبية :

- ويعنى أن ذلك الوغد سينجح فى مباغتتنا ، وكما
يشاء .

هزأت (سلوى) رأسها ، قائلة :

- ليس بالضرورة يا (أكرم) .. يمكننى رصد إيقاع
الرياح المنظم ، واستخلاص وقع قدمي ذلك الشاب
من بينها ، عندما يقترب من هنا .
قال (طارق) فى هدوء ، وهو يتابع أبحاثه :

- إنه لن يأتى سائراً على قدميه بالتأكيد .

اعتقد حاجبا (أكرم) ، وهم يفهم :

- عجباً ! لماذا يدهشنى دائماً أن يستغل ذلك الوغد

آية وسيلة مواصلات معروفة ؟!

أجابه (رمزي) :

- هذا أمر طبيعى ، فكنا نعلم أنه يمتلك قدرات
خارقة ، وتتصور فى بعض الأحيان أنه لا يحتاج إلى
ما يحتاج إليه أى شخص عادى .

قال الدكتور (حجازى) :

- السؤال الآن إذن ، هو : آية وسيلة مواصلات

سيستغلها للوصول إلى هنا ؟!

بدا القلق على وجه (نور) ، وهو يفهم :

- هذا يحتاج إلى دراسة جديدة .. وسريعة .

زفر (أكرم) فى حدة ، وهو يقول :

- اللعنة ! لماذا يصبر ذلك الوغد دائماً ، على إثارة
عل كوترنا طوال الوقت ؟!

لم يجبه أحد عن سؤاله ، فتابع في حلق :

- متى ينتهي هذا الكابوس ؟!

أجابه (طارق) في هدوء :

- قريباً يا رجل .. قريباً للغاية .

أطلق (أكرم) ضحكة عصبية ساخرة ، وهو يقول :

- يسعدني تفاؤلك هذا يا صديقي ، ولكن الواقع

أن ...

قاطعه (طارق) يهدونه المستفز :

- ليس تفاؤلاً يا رجل .. إنه قول علمي بحت .

سأله (نور) في اهتمام :

- ماذا تعني يا (طارق) ؟!

عدل (طارق) وضع منظاره الطبي فوق أنفه ، قبل

أن يشير إلى شاشته قائلاً :

- ذلك التنوير أخفى ومحا العديد من النتائج ، من

الكمبيوتر الخاص به ، ولهذا لم يمكننا نقلها إلينا ،

ولكنني في طريقى للتوصل إليها الآن ، والنتائج الأولية

كلها تشير إلى أن خلاياها قد عادت إلى التدهور

بسرعة كبيرة . بعد أن كانت قد بدأت عملية التكيف
مع ثلثها بالطاقة النووية . ويبدو أن إعادة شحنها
كهربيّاً قد أعاد إليها نشاطها السابق ، فراحت تعدو
كالصاروخ نحو نهايتها .

سأله (نور) في اهتمام بالغ :

- وكيف ستأتى هذه النهاية في رأيك ؟!

وأضافت (نشوى) في قلق :

- ومتى ؟!

صمت بضع لحظات ، وهو يطالع النتائج الأولية

على الشاشة ، ثم تبادل نظرة مع الدكتور (حجازى) :

قبل أن يقول :

- إننا نبذل قصارى جهدنا ، للتوصل إلى ما ستكون

عليه النهاية ، ولكننا استطعنا تحديد موعدها تقريباً .

وانتفت يدبر عينيه في وجوههم جميعاً ، قبل أن

يضيف في حزم :

- إنها ستأتى في غضون الساعتين القادمتين على

الأكثر .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

- رياه ! أفضى أن ذلك الكابوس سينزاح ، خلال
ساعتين فحسب !!

أجابه (نور) في حزم :

- لو أنك راجعت ضربات ذلك العدو الخارق ، لأدركت
أنه يستطيع أن يفعل الكثير .. والكثير جداً خلال
هاتين الساعتين .

وغمضت (نشوى) :

- نقد استغرقت عملية الهجوم على مقر الرئاسة
ثماني دقائق فحسب .

عاد حاجبا (أكرم) يلتفتان في شدة ، وهو يفهم :

- أكان من المستحم أن تخبريني !!

ابتسمت (نشوى) ابتسامة باهنة ، وهي تقول :

- كان من الضروري أن تعلم .. أليس كذلك ؟!

هز كتفيه ، ومطأ شفتيه في حلق ، مضغماً :

- وما الفائدة ؟!

فجرت عبارته الأخيرة فقلقهم جميعاً ، فبادلوا نظرة
متوترة ، قبل أن يتشاور كل منهم في عمله ، وكأنما
يحاول محو الفكرة من ذهنه ، وإن بقي في عقلهم
سؤال محدود ، لم يمكنهم انتزاعه منه قط ..

أية وسيلة ستأخذها ذلك التسوي ، للتوصل
إليهم ؟!

وعلى الرغم من حيرتهم وقلقهم ، اتهمك كل منهم
في عمله ، فراجعت (سلوى) تعد برنامج رصد
الأصوات ، بالتعاون مع ابنها (نشوى) ، وواصل
(طارق) والدكتور (حجازي) دراستهما لتحديد
مصدر التسوي ، في حين راجع (نور) و (أكرم)
و (رمزي) استعدادات الدفاع ، ومواقع الدبابات
والطائرات ، التي ستهاجم ذلك العدو ، فور وصوله
إليهم ، و ..

وفجأة ، هتف الدكتور (حجازي) :

- يا إلهي ! مستحيل !

جاء هتافه في لحظة اتهمك فيها الجميع ، وانحرق
صمتاً خيم على المكان لبعض الوقت ، فاعتدل كل
منهم ، والتفتوا إليه في تساؤل ، جعله يواصل في
التفان ، وهو يشير إلى شاشة جهاز (طارق)
الجديد :

- إنها كارثة .. مصيبة .. كيف تم لفتيه إليها ؟!

سأله (نور) في قلق :

- ماذا هناك يا دكتور (حجازي) ؟

أشار الرجل مرة أخرى إلى الشاشة ، ولكن
الانفعال عليه ، فلم يستطع التفوه بحرف واحد ، في
حين قال (طارق) في توتر ملحوظ :

- تمامًا مثل (سندريلا) (*) ... متبدأ مرحلة النهاية
لذلك النووي ، في تمام منتصف الليل ، أي بعد أقل
من ساعة واحدة ، وليس في غضون ساعتين كما كنا
نصوّر .. ولو أردتم الدقة فسنتأني بداية النهاية بعد
واحد وخمسين دقيقة بالتحديد ..

سأله (أكرم) في عصبية :

- قل لي يا هذا .. لماذا تتحدث عن بداية النهاية ،
وليس عن النهاية بشكل واضح محدود ؟
أجابه (طارق) بسرعة :

(*) سندريلا : قصة في الأدب الشعبي الأوروبي ، عن فتاة
بسيطة ، تموت أمها ، ويتزوج أبوها من امرأة قاسية ، لديها
اثنان أفريان ، وتعامل أزوجة الجديدة (سندريلا) في ضيقة ،
وتعنفها من حضور حفل الأمير ، ولكن الجنينة طيبة تجعل
(سندريلا) أهمل قبيات الحفل ، بشرط أن تغادره قبل منتصف
الليل ، وعندما تهرب (سندريلا) ، تترك هذاهما خلفها ،
وبوساطته ، يتوصل إليها الأمير ، ويتزوجها .

- لأن النهاية لن تأتي مباشرة يا (أكرم) ، ولكن
في منتصف الليل تقريباً ، سيكون غصتنا قد استنفد
معظم المادة النووية التي شحن بها خلاياه منذ البداية ،
وهذا يعني أن المادة المشعة في أعصابها ، ستخفض
في حجمها وكتلتها (*) ، لتبلغ ما نطلق عليه (كتلة
الحرارة) ، وعند هذه المرحلة ، يكون جسده قادراً
على الانفجار .

واتعقد حاجباه في حزم ، مستطرداً :

- نووياً .

هو حديثه على رؤوسهم كالصاعقة ، فاستع
عيونهم في ارتياح ، وقال (أكرم) في صوت يحوى
توتر الدنيا كلها :

- أتعنى أن ذلك الوجود سيتحول إلى قنبلة ؟

وافقه (طارق) بإيماءة من رأسه قائلاً :

- وقنبلة نووية أيضاً .

هتفت (سلوى) ، وقلبها يخفق في علف :

(*) الحجم هو مقدار ما تشغله المادة من فراغ ، وكتلة هي
مقدار ما يحتويه الجسم من مادة ، أما الوزن ، فهو قوة جذب
الأرض للجسم .

- يا إلهي ! يا إلهي !

وشحب وجه (نورى) فى شدة ، وهى تنكمش فى مقعدها ، فاحتواها زوجها (رمى) بين ذراعيه فى رفق ، محاولاً تهدئتها ، فى حين قال (نور) فى توتر :
- ولكن الانفجار النووى لا يحتاج إلى كتلة حرجة فحسب .. لابد من وجود مفجر ، ووسيلة لقذف تلك الكتلة الحرجة بالإليكترونيات لبدء الانشطار المتسلسل للآزم لحدوث الانفجار (*) .

أجاب (طارق) :

- هذا صحيح بالنسبة لكتلة من المعدن أيها القائد (نور) . ولكنك أمام ظاهرة جديدة .. كتلة نووية بشرية حية ، تموج خلاياها بالنشاط والحركة والحيوية ، وتتفاعل طوال الوقت مع العديد من سائر الجسم وإزيماته وهرمونه ، على نحو يمنحها طبيعة خاصة ، بحيث لن تحتاج إلى المفجر ، أو الاتبعات الإليكترونى ، إذ إنها تعمل على تنشيط نفسها بنفسها طوال الوقت ، وكل ما تحتاج إليه هو بلوغ الكتلة الحرجة ، لتصبح قابلة للانفجار .

(*) حقيقة .

ثم تنهد ، مستطرداً فى أمسى :

- وهذا ما توصلنا إليه .. الدكتور (حجازى) وأنا للأليف .

مرة أخرى ، ران على المكان صمت رهيب ، وخيم الوجود على الجميع ، قبل أن ينفص (نور) عن نفسه هذه المشاعر ، ويقول فى حسم :

- وعم ستبلغ قوة ذلك الانفجار النووى ؟؟

هز (طارق) رأسه نفياً ، وأجاب :

- أكثر مما ينبغي .

سأله (نور) فى صرامة :

- كم ستبلغ قوته بالتحديد ؟؟

تنهد مجيباً :

- ما يكفى لابتلاع (القاهرة) الجديدة بأكملها .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يبذل قصارى

جهده ، فى محاولة لاستيعاب الموقف ...

كان ما توصل إليه (طارق) والدكتور (حجازى) :

يعنى أن كل ما تم التخطيط له لم يعد ذا فائدة ..

كل شيء فشل ..

لم يعد من الممكن مواجهة ذلك النووى قط ..

ثم بعد من الممكن حتى أن ...

قبل أن تكتمل أفكاره ، اعترضتها (سلوى) فجأة ،
هاتفة :

.. طائرة تقترب .

هب الجميع من مقاعدهم في أن واحد ، وهتف
(طارق) :

.. طائرة ؟!

عقد (أكرم) حاجبيه ، مخمفاً :

.. يا ثلوع !

وسألها (نور) في توتر :

.. أي نوع من الطائرات ؟!

أجابته في الفعل ، وهي تتابع البيانات على جهازها :

.. طائرة تدريب عادية .. إنها تقترب من الجانب

الشرقي .

لم تكمل قولها ، حتى ميز الجميع أزيز الطائرة ،

التي تقترب . وتتجاوز المرصد في سرعة ، فهتف

(أكرم) :

.. لقد تجاوزتنا .

أشار (طارق) بسرعة إلى شاشة رادار عادي قليلاً :

.. شخص ما قفز منها .

تعلقت عيون الجميع بشاشة الرادار . التي بدت

عليها نقطة صغيرة خضراء . تنفصل عن الطائرة ،

وتهبّ وحدها في بضع منحوظ . جعل (أكرم) يخمغم :

.. الوغد يستخدم مظلة .

تتم (نور) :

.. هذا أمر طبيعي .

كان من الواضح أنه قد تخلى عن الطائرة ، التي

بدا سقوطها واضحاً على الشاشة . ثم لم يلبث دوى

انفجارها المكتوم من بعيد ، أن بلغ مسامع الجميع ،

في حين هبطت النقطة الخضراء على مسافة قريبة

من المرصد ، فهتفت (نشوى) :

.. ماذا تنتظر ؟! فنطلق عليه الديابات والطائرات .

أجابها (نور) في توتر أكثر :

.. مهلاً يا ابنتي .. دعينا نعلم ما نفعه أولاً ، قبل أن

اختلفت النقطة الخضراء فجأة عن الشاشة ، فهتفت

(سلوى) :

.. لقد أحاط نفسه بغلاف الإخفاء ، و ...

بتمرت عبارتها بقة ، مع الأزيز الذي تصاعد من

جهاز رصد الأصوات ، فالتفت إليه في الفعل ،
واتسعت عيناها في ذعر ، هاتفة :

- رياه ! إنه لم يختف .

سألها (أكرم) في عصبية ، وهو يمثل مستمعه :

- ماذا تعنين ؟!

أشارت بيدها إلى الأرض في ارتياح ، هاتفة :

- نلق الصرف الأرضي .. إنه يمدو نحونا ، غير

نلق صرف تحت الأرض .

شحب وجه (نشوى) ، وهي تقول :

- تحت الأرض .

ولم تك قتم عبارتها حتى دوى انفجار عنيف داخل

المرصد ..

انفجار يشير إلى أن النووى قد بدأ هجومه ..

داخل المكان مباشرة ..

★ ★ ★

٨ - العاصفة ..

الجمعة : الحادى عشر من مايو .. الحادية عشرة

والثلث مساء ..

لثانية واحدة ، تجذبت مشاعر الجميع ، وهم

يحدقون في الصر ، الذى حمل إليهم دوى الانفجار .

من الجانب الآخر للمرصد ، ثم غمق (أكرم) في

عصبية شديدة :

- الوغد هنا .

انطلقت عبارته ، وكأنما تحطم حالة الجمود والهلج ،

التي أصابت الجميع فشهقت (سئوى) ، واتسعت عينا

(نشوى) . وتراجع الدكتور (حجازى) في عصبية .

في حين تلفت (نور) و (أكرم) حولهما ، بحثا عن

مخرج أو مهرب ، و ...

وقجأة ، اختطف (طارق) جهاز الكمبيوتر المحمول

الخاص به ، وهو يندفع نحو الجدار الجنوبى للصخرة ،

هاتفا :

- أسرعوا .

سألته (سلوى) مذعورة :

- إلى أين ؟!

خجل إليهم أنه يندفع نحو الجدار مباشرة ، وكأنما لم يعد يدرى إلى أين يتجه ، إلا أنه توقف فجأة عند ركنه ، ودفع جزءاً منه ، فدار الجدار حول مركزه ، كاشفاً فجوة كبيرة ، تقود إلى سلم من الرخام ، يهبط إلى مكان ما بأسفل ..

وفي ذهول ، خلق الجميع فى تلك الفجوة ، ولكن (طارق) هتف فى صرامة :

- أسرعوا .

اشترك هنافه المكتوم ، مع وقع قدمى النووى ، وهو يعبر الممر ، فى طريقه إليهم ، فاندفعوا جميعاً نحو الفجوة والهبوط فى درجات السلم الرخامى ، و(نور) يسأل (طارق) فى توتر :

- إنه أحد المخاضى السرية القديمة .. أليس كذلك ؟!

أجابته (طارق) فى اقتضاب :

- بلى .

لم يكن هناك وقت للمناقشة والمحاورة ، لذا فقد هبط الجميع إلى المخبأ المظلم ، وتبعهم (طارق) ، الذى ضلح حجراً فى الداخل ، فعاد الجدار يدور حول

مركزه ، فى الاتجاه العكسى ، ليطلق المخبأ خلفهم ، فى نفس اللحظة التى برز فيها النووى داخل حجرتهم ، واعتقد حاجباه فى غضب شديد ، عندما وجد الحجرة خالية أمامه ، وأطلق صرخة قوية ، صائحا :

- لن يمكنكم الفرار أبداً .

ثم أطلق كرة نارية ، نحو الجدار المواجه له مباشرة ، فاتفجرت فيه فى عنف ، وأطاحت به على نحو مخيف ، إلى الحجرة المجاورة ، التى توجه إليها النووى ، وهو يصرخ :

- أين أنتم ؟!

تلقت حوله داخل الحجرة الأخرى ، وتضاعف غضبه وجنونه ، عندما وجدها خالية بدورها ، فعاد يطلق صرخة غاضبة ، مع صاعقة محدودة ، نسفت جدار الحجرة ، وألقته على رمال الصحراء خارج الممراد .

ومع سقوط الجدار ، اندفعت الرياح والرمال إلى المكان ، على نحو مخيف ، وبرقت عيناً (إفرايم) فى ثورة وعصبية ، وراح يديرهما فى المكان ، قبل أن يندفع عائداً إلى الحجرة الأولى ، وكان عرق فى جسده ينبض بغضب لا حدود له ..

في البداية ، تصور أن وصوله إلى المكان كان
جزءاً من خدعة كبيرة ..

خطة لإحضاره إلى المكان ، ثم تسفه عن آخره ..
ولم يكن هذا ليقتله كثيراً ..

إنه يعلم أن غلافه الواقى قادر على التصدي لأقوى
وأعنى الانفجارات المعروفة ..

ولكن هذا الأمر لم يكن منطقيًا ..
هاهى ذى أجهزة الكمبيوتر ورصد الأصوات فى

موضعها ..

وكلها تعمل ..

ولم تتطفىئ شاشاتها ، أو تبدأ برامج حمايتها
بعد(*) ..

وهذا يعنى أن مستخدميها كانوا هنا منذ قليل ..

قليل جداً ..

أين ذهبوا إذن ؟؟

(*) فى كل أجهزة الكمبيوتر - تقريباً - توجد برامج لحماية
الشاشة ، وتوفير طاقتها . وهذه البرامج تبدأ عملها آلياً وتلقياً ،
إذا ما تركت الأجهزة مفتوحة لفترة طويلة . وبعض أجهزة
الكمبيوتر تطفى نفسها - إذا ما توقف التعامل معها لفترة محددة .
بم ضبطها مقدماً .

أين ؟؟

أين ؟؟

تطلعت ثورة الغضب مرة أخرى فى أعماقه ، فلوح
بقيضته ، صارخاً :

- إنكم فى مكان ما هنا .. أنا واثق من هذا .. وإن
يتمكنكم الفرار منى ، مهما فعلتم ..

سأعثر عليكم ، حتى ولو اضطررت لهدم هذا
المرصد حجراً حجراً .. هل تفهمون ؟؟ سأعثر عليكم

حتمًا ..

راح يدور حول نفسه ، بحثاً عن المخرج ، الذى
غادروا عبره الحجرة ، وتضاعف غضبه وجنونه

مرات ومرات ، وعقله يدور بأقصى طاقته فى مجتمعه ،
بحثاً عن تفسير منطقى لاختفائهم ..

كانت النوايا كلها مغلقة من الداخل بأحكام ، والمخرج
الوحيد للحجرة ، هو غير العمر ، الذى أتى منه ..

إن قد ذهبوا قبل حضوره حتمًا ..

التقطوا صوت مروره فى نفق الصرف ، أو حتى
أزيز الطائرة ، التى أتى بها ، ففروا قبل وصوله

إليهم ..

ولكنهم لم يخافوا المرحض ..
 إنه ثم يسمع صوت انطلاق أية وسيلة من وسائل
 المواصلات الحديثة ..
 لا سيارات ، أو طائرات ، أو حتى زحافات رملية ..
 إهم هنا إذن ..
 داخل المكان ..
 وسيعمل على ألا يقتلوا منه أيذا ..
 حتى ولو نفذ ما توعد به ، وتسف كل جدار في
 المكان ، حتى يتحول إلى كومة من الأنقاض ..
 لقد أقسم أن ينتقم . من كل من تسبب في موت
 أبيه ..
 وإن يحدث بقسمه هذا ..
 أيذا ..
 ويكل غضبه وثورته ، صرخ :
 - لن تفلتوا .
 صرخ بها ، وهو يطلق صاعقة أخرى ، وينسف
 جداراً آخر ، لينطلق بحثاً عنهم ..
 وداخل المخبأ العظيم ، خضعت (سنوى) في رعب :
 - لقد أصبحنا سجناء هنا .. هل سمعتم الانفجارات ؟

غضبه سيدفعه لهدم الجدران . واحدًا بعد الآخر ، حتى
 يأتي دور الجدار ، الذي يخفي هذا المخبأ ، وتكون
 نهايتنا ..
 قال (نور) في حزم :
 - لا يمكننا الانتظار ، حتى يبلغ ذلك الحد ..
 قالت (نشوى) مذعورة :
 - وماذا تقترح يا أبي ؟ هل نخرج لنقاتله ؟
 أجابها في حزم :
 - لا يمكننا أن نفعل هذا ، ولكن ..
 صمت لحظة ، حين تلجس خلفها أن ظلمة المكان
 قد تضاعفت ، قبل أن يخضع الدكتور (هجازي) :
 - ولكن ماذا يا (نور) ؟
 لم يجب (نور) سؤال الدكتور (هجازي) ، وإنما
 سأل (طارق) في اهتمام :
 - قل لي يا (طارق) .. هل يحوى مدخل المخبأ أية
 مواد معدنية ، أو خرسانية ثقيلة ؟
 أجابه (طارق) بسرعة ، وهو يتساءل عن سبب
 السؤال :

- كلاً أيها القائد .. إنه مجرد جدار عادي ، يدور حول محور مركزي ، فوق قاعدة من الصلب .

قال (نور) في اهتمام :

- عظيم .. وهل يحوى جهاز الكمبيوتر المتنقل ، الخاص بك ، وسيطاً هاتفياً لاسلكياً ؟! (*) .

أجاب (طارق) في حماس ، وكأما بدأ يستوعب ما يهدف إليه (نور) :

- بالتأكيد .

سأل (أكرم) في عصبية :

- أديك خطة جديدة يا (نور) ؟!

أجاب (نور) في حزم :

- بل مجرد تطوير للخطة القديمة يا صديقي ..

ستستخدم الوسيط الهاتفي اللاسلكى كمبيوتر (طارق) ، لتتصل بأجهزة التحكم عن بعد ، فى الكمبيوتر الرئيسى ، وندفع الديابات والطائرات للهجوم .. كل ما فى الأمر هو أننا سنهاجم بها المرصد هذه المرة . وستجبر ذلك السفاح على الاشتياك معها بمنتهى العنف ..

(*) بعض أجهزة كمبيوتر المفكرة المتنقل (Note Books) ، تنوى وسيطاً هاتفياً (سوام) لاسلكياً ، يمكن بواسطته إجراء اتصالات هاتفية . أو نقل المستندات والمعلومات والوسائط عبر الأقير ، تماماً مثل قوسائط الهاتفية الملكية ..

فتح (طارق) جهاز الكمبيوتر المتنقل على الفور ، فتألفت شاشته بضوء هادئ ، بدد الظلمة الكئيبة للمكان ، وهو يقول :

- انصتُم ألا يكون قد نصب الكمبيوتر الرئيسى .

غمغم الدكتور (حجازى) :

- فلندع الله (سبحانه وتعالى) ، ألا يكون قد فعل .

تعلقت عيونهم جميعاً بأصابع (طارق) ، وهى

تجرى على أزرار الكمبيوتر ، فى سرعة وحماس .

قبل أن يهتف :

- الأجهزة تعمل بكفاءة ، ونحن على اتصال بها

الآن .

قال (نور) لابنته (نشوى) :

- فلنبداً المعركة إذن ..

التقطت (نشوى) الكمبيوتر المتنقل من (طارق) ،

وهى تقول :

- سمعاً وطاعة .

كانت شاشة الكمبيوتر تحمل مشهداً ، أشبه بالعباب الفيدوى التقليدية ، وتبدو عليها مواضع الديابات والطائرات ، التى يتم التحكم فيها آلياً ، ولقد بدأت

(نشوى) صليها ، وهى تقنع نفسها بأنها مجردة لعبة
 أخرى ثلاثية الأبعاد ، من ألعاب الفيديو ، و ...
 وتلقت الدبابات والطائرات بشارة البدء ..
 وتحركت ..
 وفى نفس اللحظة ، التى اتجهت فيها نحو المرصد ،
 كان غضب (إفرايم) قد بلغ ذروته ، وهو ينسف
 الجانب الغربى كله من المرصد ، ويصرخ :
 - مستحيل ! لا يمكن أن يكونوا قد ذهبوا بعيدا ..
 بهم هنا .. جميعهم هنا ، فى مكان ما .. فريق
 المخبرات العلمية ، والرئيس ، وطاقم حراسته ..
 كلهم هنا حتماً .
 ومع نهاية صرخته ، أطلق كرة نارية أخرى ،
 داخل مكتبة المرصد القديمة ..
 ودوى انفجار جديد ..
 والشاه جدار آخر ..
 واحترقت الأرفف الخشبية ، وتطايرت منها أوراق
 وخراطم مشتعلة ، و ...
 وتوقف بصر (إفرايم) بغتة ، عند رسم هندسى كبير ،
 ملصق على جدار المكتبة ، خلف الأرفف المشتعلة ..

رسم يوضح حجرات المرصد القديم ، وقاعته ..
 والمخبا السرى فيه ..
 وبرقت عين النشوى فى شدة ..
 وأضاعت المكان كله ..
 الآن فقط أدرك أين هم ؟
 أين اختبأ الجميع ؟
 وقتفض جسده كله فى نشوة ، وهو يطلق ضحكة
 عالية مجنونة ، ويهتف :
 - قلت لكم : إننى سأعثر عليكم .. قتها وفعتها .
 وقهقه مرة أخرى ضاحكا فى جنون ، قبل أن يتحرك
 فى سرعة ، عائداً إلى الحجرة ، التى تحوى ذلك المخبا .
 ولكن فجأة بدأ الهجوم ..
 انقضت المقاتلات والدبابات على المرصد القديم ،
 والتقطت صورة النشوى المسجئة فى أجهزة الكمبيوتر
 داخلها ، فوجهت نحوه قذائفها ..
 ودوت عشرات الانفجارات ..
 صواريخ المقاتلات ، وقذائف الدبابات ، انفجرت
 كلها على الدرع الواقى للنشوى الذى التفت إليها ،
 وأطلق صرخة غاضبة :

- لن يمكنكم منعني من إكمال انتقامي قط .. لن
يمكنكم أبداً ..

وانطلقت نراته النارية تنسف الدبابات ، وتسحق
المقاتلات ، في غضب جنوني مخيف ..

وفي المخبأ السري ، كانت آلات التحكم عن بعد
تستقبل المشاهد نفسها ، التي تسجلها آلات التصوير ،

والفريق يشاهد ما يحدث ، فهتف الدكتور (حجازي) :
.. رياه ! إنه يقاتل في شراسة مخيفة .. ذلك الجيش

الصغير لن يصمد أمامه لأكثر من دقائق خمس .

قال (نور) في حزم :

- ولكن القتال سيتمنزف معظم طاقته .

ثم التفت إلى (طارق) ، على الضوء الخافت ،
المنبعث من الكمبيوتر المتفلق ، مستظرباً :

- افتح المخبأ .

توترت (نشوى) ، وهي تقول :

- هل .. هل سنخرج ؟

أجابها في حزم ، و (طارق) يسرع بفتح المخبأ :
- لابد أن نرسل الإشارة المتفلق عليها إلى

(القاهرة) ..

دار جدار المخبأ حول نفسه ، وبدأ ضوء الحجرة
من خلفه ، فاندفع (نور) إليها ، وضغط أزرار جهاز

البث في سرعة ، ودوى الانفجارات يبلغ مسامعه .

وانطلقت الإشارة من جهاز البث ..

وبلغت (القاهرة) ، في اللحظة نفسها تقريباً ..

وعندما حدث هذا ، كان النوروى ينسف آخر مقاتلة
حربية ، ثم يستدير لمواجهة ثلاث دبابات قوية ، تبقت

أمامه ..

كان يدرك جيداً أن هذا القتال العنيف يستنزف

الطاقة المخزنة في خلاياه ..

ولكن هذا لم يكن يقلقه كثيراً ..

لقد حدد مسبقاً خطوط الكابلات الكهربائية ، التي تمتد
المرصد القديم بالطاقة ، وسيستخدمها لي شحن جسمه

وخلاياه مرة أخرى ..

وأخيرة ..

نعم .. كان يدرك جيداً أنها ستصبح آخر مرة
يشحن فيها نفسه بالطاقة ..

وآخر مرة يحصل فيها على القوة الخارقة ..

آخر ما قام به من فحوص ، أبلغه أن الوسيلة التي

استخدمها ، لشحن خلاياه بالطاقة الكهربائية ، جعلت
ساعاته في الدنيا محدودة عن ذي قبل ..
ولكنها أكثر فاعلية ..
وعليه أن يحسن استغلالها خير استغلال ..
قبل أن تحين اللحظة الأخيرة ..
ويتحول جسده إلى قبلة ..
وينتهي كل شيء ..
ومن هذا المنطلق ، أطلق صاعقة قوية ، لينسف
إحدى الديابات الثلاث ، و ...
وفجأة ، انقطع التيار الكهربى ..
انقطع في (القاهرة) الجديدة كلها ..
وما حولها ..
إلى المرصد ..
واسعت عينها النور في غضب وثورة ..
وصرخ :
- لا .. لا يمكنهم أن يفعلوا هذا .
ومع صرخته ، أطلق كرة نارية ، انفجرت في صدر
الديابة الثانية ..
ثم استدار ليلوجه الديابة الأخيرة ..
الآن فقط فهم لماذا استرجوه إلى هنا ..

ولماذا دفعوه لقتال كل هذه الديابات والطائرات ..
الآن فقط أدرك ما فعلوه به ..
لقد استنفدوا طاقته ، في قتال جانيه عفيف ..
ثم استعدوا لقتله بعدها ..
ولكن لا ..
لن تفلح خطتهم أبداً ..
إنه يعلم أن نهايته ستأتي بعد أقل من ساعة ..
بل من نصف الساعة ..
وهذا يعني أنه لم يعد لديه ما يخسره ..
سيقاتل حتى آخر رمق ..
وحتى آخر نفس يتروذ في صدره ..
وبكل غضبه وثورته ، أطلق صاعقة نحو الديابة
الأخيرة ، فسحقها سحقاً ، ثم استدار ، وكيانه كله
يشعل ، لبدأ معركة الأخيرة ..
المعركة الفاصلة ..
الحاسمة ..
ولكن لم يكن يعلم أن (نور) وفريقه قد استغلوا
لحظات قتاله مع ذلك الجيش الصغير ، الموجه عن
بعد ، ليرتدوا أزياعهم الواقية (م ف - ١٨) ، استعداداً
للمواجهة الحاسمة ..

وعندما بلغ النووى تلك الحجرة ، التى تضم أبواب
الفريق ، كان فى مواجهته أربعة أشخاص ، فى
دروعهم الواقية ، وكل منهم يحمل مدفعاً ليزرياً شديد
التدمير ..

(تور) و (أكرم) و (رمزي) و (طارق) ..
وفى نفس اللحظة ، التى خطا فيها داخل الحجرة ،
هتف (تور) :
- الآن ..

واتطلقت المدافع الليزرية الأربعة فى آن واحد ..
وأصابت كلها الهدف فى آن واحد ..
وعلى الرغم من قوة الانفجار ، الذى نشأ من
التقاء حزم الأشعة الأربعة ، عند جسد النووى ،
والذى ارتج له المكان كله ..
وعلى الرغم من أن الضربة أصابت جسده كائف
ألف صاعقة ..
إلا أنها لم تقتله .

فقط اهتز عنه من مكانه ، ودفعته متراً واحداً إلى
الخلف ، تسقط على ظهره فى علف ..
ولكن سقوطه لم يستغرق ثانية واحدة ..



ويكمل غشه ولورته ، أطلق صاعقة نحو الدبابة الأخيرة ، فحقنها
سحقاً ، ثم استدار ، وكيانه كله يشتعل . ليبدأ معركة الأخيرة

لقد وثب واقفاً على قدميه فى سرعة مذهشة ،
وأطلق صرخة جبارة ، كاد قلب (سلوى) يتوقف بسبب
قوتها وعنفها ، على الرغم من وجودها داخل المخبأ ..
ثم ضم قبضته معاً ، وصرخ :

— اذهبوا إلى الجحيم ..

وبفرقة قوية عنيفة ، انطلقت من بين قبضتيه
صاعقة زرقاء هائلة ، أضاعت المنطقة كلها تقريباً ،
وهي تنطلق نحو الرفاق الأربعة ..

كانت كل الدراسات ، التى أجريت على الرزى الواقع
(م ف - ١٨) ، تؤكد أنه قادر على احتمال قذيفة
موجّهة ، من قذائف الطائرات المقاتلة الحديثة ، دون
أن يتمزق ، أو يظهر به خدش واحد ..

ولكن يبدو أن تلك الصاعقة كانت تحوى طاقة
هائلة ، تفوق بكثير قذائف الطائرات المقاتلة الحديثة ..

لقد انفجرت وسط الرفاق الأربعة ، الذين شعر كل
منهم وكأن قبلة قد انفجرت داخل جسده ، فانزعته
من مكانه ، وأثقت به بعيداً فى عنف رهيب ..

(أكرم) اندفع إلى الخلف واصطدم بالجدار كالقبلة ،
قدار حول نفسه ، وقذف داخل المخبأ ..

و (طارق) وجد نفسه يطير إلى اليسار ، ويشور
حول نفسه فى الهواء ، قبل أن يرتطم بأحد الجدران
فى عنف شديد ، ثم يسقط أرضاً كالحجر ..

و (رمزي) طار من موضعه ، غير الجدار
المهدوم ، بين حجرة الفريق والحجرة المجاورة ، التى
سقط داخلها ، وتخرج فيها فى قسوة ..

أما (نور) ، فقد اقتلعه الانفجار من مكانه ، ورفع
جسده إلى قرب السقف ، قبل أن يسقط مرة أخرى ،
ويرتطم صدره بجهاز الكمبيوتر الرئيسى ، الذى سقط
معه أرضاً ، وانفجر بدوى شديد ..

وعلى الرغم منه ، تأوه (نور) فى ألم بالغ ..
لقد تحطم ضلعان جديان فى صدره ، واقتشت
الأضلاع التى تحطمت من قبل ..

وكان الألم رهيباً ..

إلى أقصى حد ..

وفى غضب ، أضاع النووى المكان بعينه ، وهو
يقول :

— هل تصورت أن بإمكانكم هزيمتى ، لمجرد أنكم
قد نجحتم فى قطع التيار الكهربى ، وتأزرتُم معاً ؟

خطأ أيها الأغبياء .. خطأ .. مازالت تدي طاقة هائلة ،
تكفى لكل ما تبقى لى من وقت .
ثم سأل فى صرامة مخيفة :
- والآن .. أين الرئيس ؟
أجاب (طارق) فى ألم . وهو يتنهد فى صعوبة :
- الرئيس ليس هنا بالطبع .. كانت مجرد خدعة ،
لاجتذابك إلى هنا .

التفت إليه النووى ، صارخاً :
- كاذب .

ومع صرخته ، أطلق نحوه كرة نارية ، تفجرت فى
صدر الزى الوافى ، واقتلعه مرة أخرى من مكانه ،
لتنضرب به الجدار بكل العنف ..
وفى غضب ، صرخ النووى :
- أين الرئيس ؟

نهض (نور) ، مسعاً صدره فى ألم ، وهو يقول :
- (طارق) لم يكن كاذباً .. الرئيس ليس هنا .
صرخ النووى مرة أخرى :

- كاذب .. كلكم كاذبون .. كاذبون .

صرخ بها ، وهو يرفع قبضته ، ليطلق كرة نارية
أخرى نحو (نور) ..

وكان (نور) يعلم أن جسده لن يتحمل هذه الضربة
الغنيمة قط فى حالته هذه ..
وأن كرة النار لو أصابت جسده ، وعلى الرغم من
زيه الوافى ، فإنها ستقتله جثماً ..
وبلا رحمة ..

★ ★ ★

شعر (أكرم) بصدمة هائلة ، عندما انفجرت تلك
الصاعقة ، ودفعته قوة مخيفة فى صدره ، واقتلعه
من مكانه . وقذفت به إلى الخلف ، ليرتطم بجانب
جدار المخبأ السرى فى عطف ..

ومع الصدمة القوية ، دار الجدار حول محوره ،
والتقى به داخل المخبأ ، فسقط على الدرجات الرخامية ،
وتدحرج فوقها كالحجر . قبل أن يسقط عند قدسى
الدكتور (حجازى) ، الذى أسرع يعاونه على النهوض ،
وهو يهتف :

- رياه ! لقد أصابك بشدة يا ولدى .

كان (أكرم) يشعر بالأم هائلة ، فى كل جزء من
جسده ، من أثر الصدمة والسقوط ، وعلى الرغم من هذا ،
فقد هب واقفاً على قدميه ، وهو يقول فى عصبية :

ذلك الوغد أقوى مما كنا نتصور بكثير .. لقد فقد معظم طاقته ، ولم يعد بإمكانه إعادة شحن جسده ، وعلى الرغم من هذا ، فقد تلقى حزم الأشعة ، وكأنما تلقى راحة من الماء المنعش ، وكاد يقتلنا جميعاً بصاعقة رهيبة .

هتفت (سلوى) فى ارتياح :

- يا إلهى ! (نور) .. (نور) فى خطر .

قالت (نشوى) ، ودموعها تتفجر من عينيها ، وتغمر وجهها فى غزارة :

- بل كلنا فى خطر يا أمى .. (القاهرة) الجديدة كلها فى خطر .. سينتهى أمرنا جميعاً ، عندما ينفجر .
قال (أكرم) فى عصبية ، وهو يلقي مدفعه الليزرى جانباً :

- لا ينبغي أن نسمح بحدوث هذا قط .

قال الدكتور (حجازى) فى يأس :

- وهل توجد وسيلة لمنع الانفجار النووى القادم ؟
اعتدل حاجبا (أكرم) ، وهو يتنزع زيه الواقى لائلاً فى حزم :

- بالتأكيد .

كان صراخ النووى الغاضب يبلغ مسامعهم ، وهو يستجوب (نور) و (طارق) ، فحقق قلب (سلوى) ، وهى تقول :

- أية وسيلة تلك ، التى يمكن أن تمنع كارثة كهذه ؟!

أجابها (أكرم) ، وهو يستل مسدسه من حزامه :

- الموت .

لم يفهم أحدهم ما يعنيه ، فتابع فى صرامة :

- أن يموت ذلك الوغد ، قبل منتصف الليل .

ألقى الدكتور (حجازى) نظرة سريعة على ساعته ، وقال :

- إنها الثانية عشرة إلا سبع دقائق فحسب .

قال (أكرم) فى حدة :

- وهذا يعنى ضرورة أن نتحرك بأقصى سرعة .

ثم التفت إلى (سلوى) قائلاً :

- الغلاف الواقى الذى يحيط بذلك الوغد ، عبارة

عن ذبذبة كهرومغناطيسية فائقة .. أليس كذلك ؟

أومأت برأسها إيجاباً فى ارتياح ، فتابع :

- هل يمكنك استخدام كمبيوتر (طارق) المتحرك ،

لاختراق تلك الذبذبة ، وإيقاف عملها ؟!

تسعت عيناها في دعر . وهي تشير إلى مدخل
المخبأ ، قائلة :

- لست أرى ما إذا كان هذا ممكنا أم لا ، ولكنه
إن ينجح لأكثر من ثالثة أو ثابيتين .

أجابها في حزم :

- هذا يكفي .

هتفت في ارتياح :

- ولكن ليس لدينا الوقت لهذا .

كانت صرخة النووي الأخيرة تبلغها ، فصرخت
بدورها :

- إنه سيقتل (نور) .

استدار (أكرم) إلى المدخل في غضب هائل ،
هاتفا :

- الوعد ..

كان النووي في تلك اللحظة يصوب قبضته إلى
(نور) ، ويطلق كرتة الفارية ، و ...

وصرخ (طارق) فجأة ، وهو يهب من سقفته ،
ويعدو نحو (نور) :

- لا .. ليس (نور) .

وبكل قوته ، وثب بعرض طريق كرتة النار ، قبل
أن تبلغ (نور) ..

وارتطمت به الكرة الفارية بكل قوتها ..

وانفجرت في صدر زيه الواقى ..

واتدفع (طارق) إلى الخلف في عنف ، وارتطم
بـ (نور) في قوة ، انتزعت هذا الأخير من مكانه ،
مع ألام رهبة في جسده كله ، ليصطدم الاثنان بجدار
المخبأ ، ويتحرجان معا داخله ، على نحو يكفى
لتحطيم كل عظمة في جسديهما ، قبل أن يستقرا
داخله ..

وبكل الذعر الذي ملأ كيانهما ، اندفعت (سنوي)
و (نشوي) نحو (نور) ، هاتفتين :

- (نور) .. ربا !! هل .. هل .

تحرك النووي في صرامة نحو المخبأ وهو يقول :

- قلت لكم : إنكم لن تفلتوا مني قط .

تراجع الدكتور (حجازي) ، هاتفا في ارتياح :

- يا إلهي ! إنه قادم إلينا .

تلقت (أكرم) حوله في عصبية ، بحثا عن مخرج
آخر ، ووقع قدمي النووي يقترب ..

ويقترَب ..

ويقترَب ..

ثم ظهر شبحه عند مدخل المخبأ ..

وثأثت عيناه في قوة ..

واتبعث منهما ذلك الضوء الماطع ..

وغمر الجميع ..

واتلفض جسد (نشوى) في ارتياح ..

وشهقت (سلوى) ..

وتجمعت أطراف الباقين ..

ورفع النور قبضته نحوهم ، و ..

وكانت لحظة رهيبية ..

وقاتلة ..

« (إفرايم) ... »

انطلق الاسم في المكان ، بصوت (رمزي) ، الذي
عاد غيّر الجدار المتهار ، فاستعد حاجبها (إفرايم) في
شدة ، وخفض قبضته ، وهو يلتفت إليه في حركة
هادئة ، فتابع (رمزي) ، وهو يلهث ، من فرط التعب ،
والألم ، والانفعال :

- (إفرايم سالوم) .. أو (إبراهيم سالم عمران) ..

ليس هذا هو اسمك الحقيقي ؟

زيجر (إفرايم) كوحش كاسر ، وهو يقول :

- لقد توصلتم إليه .. هذا يعنى أنكم أكثر براعة

مما كنت أتصور ..

اقترَب منه (رمزي) في حذر ، وهو يقول :

- لسنا نعرف هويتك الحقيقية فحصب يا (إفرايم) ،

ولكننا نفهم أيضاً لماذا تسعى للانتقام .

العقد حاجبها الشاب في شدة ، وهو يتابع حركته في

حذر ، ففهم الدكتور (حجازي) في توتر :

- (رمزي) يستغل موهبته في الطب النفسى .

همس (أكرم) في عصبية ، وهو يلقي نظرة على

ساعته :

- لن يفيد هذا ، بعد ست دقائق من الآن .

ثم عاد يلتفت حوله قائلاً في حدة :

- لابد أن أجد وسيلة للخروج من هنا .. لابد .

فتح (طارق) عينيه في صعوبة ، وأشار بيده إلى

ركن المخبأ في تهالك ، مخفياً :

- فتحة التهوية .. فتحة التهوية .

تَأَلَّفْتُ عَيْنَا (أَكْرَم) ، وَهُوَ يَقُول :

- أَد... بِالْفِعْلِ .. أَشْكُرُكَ يَا صَدِيقِي .. أَشْكُرُكَ كَثِيرًا .

ثُمَّ التَّكَلَّمَ إِلَى (سَلَوَى) قَائِلًا فِي لَهَجَةٍ :

- ابْذُلِي قِصَارِي جَهْدَكَ لِإِثْلَةِ الْخُلَافِ الْوَاقِي ..

ابْذُلِي الْآنَ .. لَسْنَا نَعْرِى كَيْفَ مِنَ الْوَقْتِ ، سَيُمْكِنُ

(رَمَزَى) مِنْ خِدَاعِهِ .

أَوَمَاتَ بِرَأْسِهَا إِيْجَابًا فِي تَوْتَرٍ بَالِغٍ ، وَهِيَ تَلْتَقِطُ

كَمْبِيُوتَر (طَارِقِ) الْمُتَحَرِّكِ ، فِي حَيْنِ تَدْفَعُ هُوَ نَحْوَ

فَتْحَةِ التَّهْوِيَةِ فِي الرُّكْنِ ، وَتَتَزَعُ غَطَاءَهَا بِجَذْبَةٍ

قَوِيَةٍ ، فَصَالَتَهُ (نَشَوَى) فِي هَلَعٍ :

- (أَكْرَم) .. هَلْ سَتَذْهَبُ هَكَذَا ، بِمَسَدَسٍ عَادِي .

وَدُونَ زَيْ وَاقٍ ؟؟

ابْتَسَمَ فِي سَخَرِيَّةٍ عَصْبِيَّةٍ قَائِلًا :

- وَفِيمَ أَفَادَنَا هَذَا ؟

وَدُونَ أَنْ يَضْطِيفَ حَرْفًا آخَرَ ، دَفَعَ جَسَدَهُ دَاخِلَ

فَتْحَةِ التَّهْوِيَةِ ، وَاصْطَفَى فِيهَا تَعَامًا .. وَفِي نَفْسِ

الْوَقْتِ الَّذِي فَعَلَ فِيهِ هَذَا ، كَانَ (رَمَزَى) يَقُولُ لِنَشَابٍ

فِي لَهَجَةٍ هَادِلَةٍ وَبَعَلَمَاتٍ مَدْرُوسَةٍ خَيْرَةٍ :

- لَقَدْ حَوَّكُمُ وَالِدُكَ وَأَدْبَنَ وَصَدَرَ ضِدَّهُ الْحُكْمُ بِالْإِعْدَامِ .

وَكَلَّ هَذَا قَبِيلَ حَتَّى أَنْ تَوَلَّى ، وَغَضَى أَرْغَمَ مِنْ هَذَا فَقَدْ

تَعَذَّبْتَ مِنْذُ مَوْلَدِكَ ، بِسَبَبِ مَا حَدَثَ .. أَمَّا ثَمَ تَتَوَقَّفُ

يَوْمًا وَاحِدًا عَنْ تَذْكَيرِكَ بِالْأَمْرِ ، بَلْ وَعَرَضْتَ عَلَيْكَ

يَوْمِيًّا فَيَلْمَا تَسْجِيلِيًّا لِلْمَحَاكِمَةِ إِلَى الْحَدِّ الَّذِي حَقَّمُ

أَعْصَابِكَ وَأَعْصَابِهَا .

إِذَا دَ انْتَفَذَ حَاجِبِي (أَفْرَامِ) ، وَهُوَ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ فِي

صَمْتٍ شَارِدٍ ، شَجَّعَ (رَمَزَى) عَلَى التَّقَدُّمِ أَكْثَرَ

وَأَكْثَرَ ، وَهُوَ يَتَابَعُ :

- جِيرَانُكُمَا قُلِي (كُنْ أُنَيْبِ) ثُمَّ يَحْتَمِلُوا صَرَخَهَا

وَصَرَاحُكَ فَأَيْلِفُوا الشَّرْطَةَ ، وَ...

وَأَصَلَ (رَمَزَى) التَّحَدَّثَ إِلَيْهِ فِي بَطْنِهِ ، مُحَاوَلًا

إِبْصَاعَةَ الْمَزِيدِ وَالْمَزِيدِ مِنَ الْوَقْتِ ، عَسَى أَنْ يَجِدَ رِفَاقَهُ

وَسِيلَةَ لِلنَّجَاةِ ..

وَالْعَجِيبُ أَنَّهُ فَعَلَ هَذَا ، دُونَ أَنْ يَمُرَّ بِأَنْ (أَكْرَمِ)

كَانَ ، فِي نَتِجَةِ الْحِظَّةِ ، يَدْفَعُ جَسَدَهُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ ، عَبْرَ

مَا سَوْرَةِ التَّهْوِيَةِ ، وَهُوَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ فِي تَوْتَرٍ :

- أَسْرِعْ يَا (أَكْرَمِ) .. أَسْرِعْ .. الْمَاسِيْرَةُ ضَيِّقَةٌ ،

وَرَحَّتْهَا الْعَفْئَةُ تَكَادُ تَرْكُمُ أَفْكَ ، وَتَفْقِدُكَ الْوَعَى .

ونكن كل رفاقك يضمنون على نجاحك .. احتمل ، وقاوم ،
واقف جسدك إلى الأمام .. هيا .. أسرع .. أسرع ..
الوقت أمامك ضيق للغاية .. ولا ينبغي أن تضع ثاقبة
واحدة .. هيا .. هيا .

كان جسده محشوراً داخل تلك الماسورة الضيقة ،
ويدفعه إلى الأمام بصعوبة . ولكنه لم يتوقف لحظة
واحدة ، حتى بلغ ماسورة رأسية قصيرة ، فاحتسنى
داخلها ، ودفع جسده إلى أعلى في صعوبة حتى بلغ
ماسورة أفقية أخرى كاد عاموده الففري ينكسر وهو
يدفع نفسه داخلها قائلاً في صوت لاهت من قرط
الإرهاق والانتعال :

- هيا يا (أكرم) .. لا تجعل هذا يوقفك .. ابذل
قصارى جهدك لتتحول إلى رجل مطاطي ، حتى يمكنك
عبور تلك المنحنيات الضيقة ، ولكن لا تستسلم أبداً
مهما كان الثمن .. هيا .

ومع الجهد الخرافي الذي يبذله ، كان (رمزي)
يوصل حديثه مع (إفرام) قائلاً :

- العلاج النفسي كان يمكن أن يفيدكما مفاً .. أمك
وأنت ، لولا أنها أصرت على العودة لممارسة الضغوط

نفسها بعد انتهاء فترة العلاج ، مما حطم أصفك ،
ومر كيائك ، وجعلك تتصور أن الوسيلة الوحيدة
أمامك ، للتخلص من هذا العذاب ، هي أن تنغمس في
الفكرة حتى النخاع ، وتقتنع بأن هدفك في الحياة هو
الثأر والانتقام .. فقط الثأر والانتقام .

برقت عينا (إفرام) في شدة ، وهو يقول :

- نعم .. الثأر والانتقام .

ثم مال نحوه ، مستطرداً في صرامة وحشية :

- وبمناسبة الحديث عن الثأر والانتقام .. أيسر
الرئيس ؟

أتردد (رمزي) لعابه ، وهو يقول :

- الرئيس ليس هنا .

اتعقد حاجباً (إفرام) في غضب هائل ، ورفع
قبضته نحو (رمزي) ، الذي تراجع في خوف ،
مكتملاً :

- ولا يمكن أن يكون هنا .. المكان غير صالح
لحمايته ، على الوجه الأمثل .. لقد كانت مجرد خدعة ؛
لجذبك إلى هنا فحسب .

تضاعف غضب الشاب ، وهو يصرخ :

- مجرد خدعة .. خدعة حقيرة .. هل تصوّرتم أنكم
تستطيعون الظفر بي ، لمجرد أنكم نجحتم فى اجتذابى
إلى هنا ؟! هراء .. ربما فقدت الكثير من طاقتى ،
ولكن المتبقى يكفى لنسفكم جميعاً ..
ثم صرخ مرة أخرى :
- جميعاً .

هوى قلب (سلوى) بين ضلوعها ، وارتجفت
أصابعها ، التى تعمل بأقصى سرعتها على جهاز
الكمبيوتر المتنقل ، وهى تتمتع فى لهجة من يوشك
على الانهيار :
- كل شيء معدّ يا (أكرم) .. أسرع بالله عليك ..
أسرع .

ومع آخر حروف كلماتها ، صرخ الشاب فى غضب
هادر :
- لقد خدعتمونى ، وأفسدتكم حملتى الانتقامية ،
والشيء الوحيد الذى تستحقونه هو الموت .. الموت
وحده .

وفى نهاية العبارة ، ضمّ قبضته فى قوة ..
وانطلقت من قبضته كرة نارية ، ارتطمت بـ (رمزى) ،

وتفجّرت فى صدر زيه الواقى ، فانقرعته من مكانه
فى عنف ، ودفعته أمامها لستة أمتار كاملة ، عبر
الجدار المحطم ، لتلقى به مرة أخرى على رمال
الصحراء ..
ومع الآلام الرهيبة فى صدره ، تأوّه (رمزى) مرة
واحدة ..

ثم فقد وعيه ..

وعندما كانت الرمال الرفيعة ترتطم بجسده ، كان
النوى يلتفت إلى الباقيين ، وعيناه تبرقان على نحو
مخيف ، وينبعث منهما ضوء مبهر ، غشى عيون
الجميع ، وهو يزمجر فى وحشية رهيبة هاتفاً :
- للمرة الأخيرة .. أين الرئيس ؟!

ضغطت (سلوى) آخر أزرار إعداد برنامجها ، ثم
وضعت سيّابتها على زر الإدخال ، هاتفة فى أعماقها ،
وجسدها كله يرتجف فى قوة :
- أسرع بالله عليك يا (أكرم) .. أسرع .

أما (نشوى) فقد عجزت ساقاها عن حملها ،
فسقطت أرضاً هاتفة :

- (رمزى) .. زوجى (رمزى) ، وابنى (محمود) ..
رياه ! إنها النهاية .. إنها النهاية .

وتراجع الدكتور (حجازى) فى ارتياح ، فى حين
أغلق (طارق) عينيه فى ألم ومرارة ، وأمسك
(نور) صدره محاولاً التغلب على آلامه وهو يهتف :
- ألا يمكنك أن تفهم أبداً .. الرئيس ليس هنا .

وقال (طارق) فى حدة :
- اذهب إلى الجحيم يا هذا .. لن تنظر بالرئيس
قط .

اشتعلت عينا (إفرام) أكثر وأكثر ، وهو يصرخ :
- نعم أيها المتحذلق .. سأذهب بالتأكيد إلى الجحيم ،
ولكننى لن أذهب وحدى ..

وضم قبضتيه إلى بعضهما البعض ، مستطرداً فى
ثورة :

- كلكم ستهبون معى .. (القاهرة) الجديدة كلها
ستذهب معى إلى الجحيم .

صرخت (سلوى) و (نشوى) ، واتسعت عيون
(نور) و (طارق) ، والدكتور (حجازى) مع تألق
قبضتى (إفرام) على نحو يوحى بأنه يستعد لإطلاق

أقوى صاعقة فى تاريخه الدموى القصير ، وهو يصرخ
فى جنون وحشى :

- سنذهب جميعاً إلى الجحيم .. جميعاً .
ولكن فجأة ، ومع آخر حروف صرخته ، وقبل أن
يكتمل دويها تحطمت فجأة فتحة التهوية فى سقف
الحجرة على مسافة خمسة أمتار من (إفرام) وهبط
منها (أكرم) حاملاً مسدسه التقليدى ..

وبمنتهى السرعة والغف ، التفت إليه النوى ..
ويكل غضبه وثورته أطلق صرخة رهيبية ..
وأدار قبضته اليمنى نحوه ..

وانطلقت كرة النار ..
وصرخت (سلوى) :
- الآن يا (أكرم) .. الآن ..

ولم يكن جسد (أكرم) قد بلغ الأرض بعد ، عندما
دار حول نفسه ، وأطلق من مسدسه ثلاث رصاصات ،
نحو النوى ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، شعر بالنيران تحرق
زراعته اليسرى ، قبل أن تواصل الكرة طريقها ، عبر
الممر الطويل ، وتتفجر فى نهايته ..

ومع الانفجار ارتطم (أكرم) بأرضية الحجرة ،
وتدحرج فوقها لحظة ، ثم هبّ واقفاً على قدميه ، وهو
يصوب مسدسه إلى النوى مرة أخرى ..

واتعقد حاجباه في شدة ..

لقد نجحت (سلوى) في إيقاف عمل الغلاف الواقى
لثانية واحدة ، نجحت رصاصات (أكرم) خلالها في
إصابة (إفرام) ..

في صدره مباشرة ..

ومع ألمه وذهوله ، اقتلعت الرصاصات جسد (إفرام) ،
ودفعته أمامها لمتراً واحداً ، فارتطم بجانب مدخل المخبأ ،
وارتد مرة أخرى في عنف ، ليسقط على وجهه
أرضاً ..

وانطلقت من حلقه آهة ألم بدت أشبه بصرخة
غاضبة ، وهو يتحسّس الدماء على صدره ،
ويقول :

- مستحيل ! لا يمكنك أن تفعل بى هذا .. مستحيل !

وحدق في وجه (أكرم) لحظة ، قبل أن يطلق فجأة
ضحكة مجنونة ، ويلوح بقبضته ، على الرغم من الدماء
المتدفقة من صدره في غزارة ، ويهتف :

- ولكنك فعلتها يا رجل .. قتلتنى .. فعلت ما تصوّرت
أنه مستحيل ! ولكن عزائى الوحيد هو أننى سأحملكم
جميعاً معى إلى الجحيم ، بعد دقيقة واحدة .

قالها ، وقهقه ضاحكاً مرة أخرى ، على نحو
جنونى مخيف ، فاتعقد حاجبا (أكرم) في شدة ، وهو
يقول :

- خطأ هذه المرة أيها الوغد .. ستذهب بالفعل إلى
الجحيم ، ولكنك ستذهب وحدك .

وبلا تردّد ، ضغط زناد مسدسه مرة أخرى ، وهو
واقف من أن (إفرام) لن يمكنه إحاطة نفسه بالغلاف
الواقى ، في هذه الظروف ..

وصرخ النوى :

- لا .. لا

وامتزجت صرخته بدوى رصاصات (أكرم) ، قبل
أن تخترق رأسه ، من منتصف جبهته تماماً ، وتنفذ
من مؤخرة الرأس في عنف ..

وتهاوى النوى جثة هامدة ، عند قدمى (أكرم) ..
الذى أغلق عينيه في قوة ، مغمغماً :

- رأيت أيها الوغد .. هأنذا مستذهب إلى الجحيم ..
وحبك ..

وبعد عبارته ، ران على المكان صمت رهيب مهيب ،
إلا من صوت الرياح المحمّلة بالرمال خارج المرصد
القديم ..

وفى قلب الصمت ، كانت أفكار ومشاعر الجميع
تنطلق ..

ربما كانوا يفكرون فى كل ما حدث .. كل فى
مضماره ..

فى العنف ، والقسوة ، والغموض ..
فيما يثير حيرتهم بشأن (طارق) ، عضو الفريق
الجديد ..

فى مصير رئيس الجمهورية ..
ولكن الشيء الوحيد ، الذى جمع بينهم فى تلك
اللحظة ، وفى قلب الصمت ، كان خفقات قلوبهم ،
التي تعلن أن الحياة قد انتصرت مرة أخرى ..
وأن العاصفة النووية قد انتهت ..
وإلى الأبد .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]